جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

المصايد والمطارد لكشاجم: دراسة موضوعية وفنية

إعداد الطالب
مصعب عبدربه محمد الذنيبات

إشراف
الأستاذ الدكتور حسن محمد ربابعة

رسـالـة مقدمـة إلى عمـادة الدراسـات
العليـا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجـة
الماجستير في الأدب/ قسم اللغـة العربية وآدابها
جامعة مؤتة،2012

الإهداء

إلى والديّ العزيزين الكريمين اللذين مزجا حياتيهما في كأسِ حياتي فشربته عذباً زلالاً، تربيةً وتعليماً

إلى سندي وقوتي وملاذي

إلى من آثروني على أنفسهم

إلى من علموني علم الحياة

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة إخوتي

إلى أصدقائي جميعاً

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

مصعب عبدربه الذنيبات

الشكر والتقدير

الحمد لله والسلام على رسول الله وبعد:

فأنني أتقدم بخالص الشكر الجزيل، والعرفان بالجميل، والاحترام والتقدير، لمن غمرني بالفضل واختصني بالنصح وتفضل عليّ بقبول الإشراف على رسالة الماجستير الأستاذ الدكتور حسن محمد ربابعة، فقد كان قبس الضياء في عتمة البحث، كما كان قبطان مركب العلم في هوجِ الدراسة المتلاطم.

ولا أنسى أن أشكر كل من قدم لي الدعم والمساعدة طوال هذا المشوار، وأخص الأستاذ يوسف عبدالمجيد الضمور، والأستاذ عبد الله حسن الذنيبات، فجزاهم الله كل الجزاء.

مصعب عبدربه الذنيبات

فهرس المحتويات

الملخص

المصايد والمطارد لكشاجم: دراسة موضوعية وفنية

مصعب عبدربه الذنيبات

جامعة مؤتة، 2012م

تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن بعض من القضايا الموضوعية والفنية في كتاب المصايد والمطارد لكُشاجم الشاعر العباسي الذي برع في وصف الطرد والصيد خير وصف، والتعرف على بعض القضايا التي لم تتعرض للدراسة.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول كشفت عن العديد من القضايا الموضوعية والفنية.

أمّا المقدمة فبينت أهمية الصيد والطرد في العصر العباسي، وسبب تسمية صاحب كتاب "المصايد والمطارد"، محمود بن الحسن الرملي بكُشاجم، كما انها تحدثت عن أهمية هذه الدراسة، والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الصيد والطرد والبيزرة.

وتناول الفصل الأول تعريف الصيد والطرد والبيزرة عند العرب، من خلال النظر في المعاجم العربية ودواوين شعراء الطرد.

وتناول الفصل الثاني وسائل الصيد التي استخدمها كشاجم وأبناء عصره في صيد الطرائد من: إيقاد للنار، واستخدام الشرك، والحيل، والجلاهق، والأوهاق. والزُّبى، واللبابيد، والكلاب، والصقور، وانتقلت إلى الصيد بالنشَّاب، والقوس، والنُّبل، واستخدام وسائل اخرى، ثم أتبعتها بحديث عن فوائد الصيد.

أمّا الفصل الثالث فقد تناولت طبائع الحيوانات ومنافعها، أمّا الفصل الرابع فخصص للدراسة الفنية في القصائد والمقطوعات والأراجيز التي تناولت الطرد والصيد في كتاب كشاجم، من حيث شكل القصائد وبناؤها، والصورة الشعرية، واللغة والأسلوب، والموسيقى الشعرية.

وانتهت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصلت اليها، وذُيلت الدراسة بقائمة تثبت المصادر والمراجع التي أفدت منها.

Abstract

Hunting and abstract book of kshajem.
Artistic and subjective study.

Musab abd rabuh dinaibat

Mutah University,2012

This study aimed to explore some artistic and subjective issues in al-masaed and almatared book of al-kshajem abbasi poet who got the excellency in describing both of "alsaid" and "altard"-and identifying some issues which weren't be exposed in the study .

The study came whith introduction and four chapters which explored different subjective and artistic issues .

The introduction has shown both of alsaid and altard in abbassi aria , as well as the main couse of calling mahmood bin al-hassan whose book is Almasaid and almotard with kshajem- it also talked about the importance of this study and other past studies which dealt whith "alsaid" , altrad and albaizarah .

The first chapter dealt with identifying al-said , altard and albaizarah in the arab by looking in Arabic dictionaries and poet collection of altard.

The second chapter dealt with hunting techniques in which kshajem and his friends have used in hunting his animals by using fire , tracks other suitable techniques , aljalahiq , alawhaq , alababeed, dogs and hawks - - moving to ward hunting by aljuavelin arrow bow and other techniques – this chapter is ended by the benefits of hunting .

The third chapter dealt with some features of animals and its benefits.

The fourth chapter especailized for the artistic studying exaetly for poems veres and alrajeez that dealt with chasing and hunting in kshajem book , exactly from poems shape , its structure , its poetry picture , language , teghnique , and poetry –music.

The study ended with acoclusion in which many results have been reached , and ended with the references and the resources in which the study got its benefits.

المقدمة

الحمد الله رب العالمين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعله من عباده الظامئين إلى علمه وهديه إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

يُعد شعر الطرديات الذي برع فيه العديد من شعراء العصر العباسي من دُرر القصائد التي عُنيت بدراسة الكثيرين، وبدت كأنها لوحةٌ فنيةٌ رُسم من خلالها جوانب من مجتمع العصر العباسي، فقد رسمت لنا بيئة الصيد ووسائله، والصراع الذي عُبِّر عنه بأجمل الصور بين الطارد والمطرود.

واجتمعت جميع هذه الأمور التي تخصّ الطرد وبيئته في كتاب "المصايد والمطارد" لأبي الفتح محمود بن الحسن الرملي، الكاتب المعروف بكُشاجم المتوفى بعد سنة 358هـ، الذي حققه وعلق عليه محمد أسعد طلس، إذ إن الشاعر جمع كلَّ ما يخص الصيد، من وسائله: المعنوية والمادية، وكذلك الصراع، ونهاية المغامرة التي جُني ثمارها بفضل قوة الطارد وحسن التدبير.

تسميته

لقد اشتهر كُشاجم في حلب بين شعرائها وفي بلاط سيف الدولة، ولفظة ولقب كُشاجم منحوتة من علوم كان يتقنها: فالكاف كاتب، والشين شاعر، والألف للانشاء، والجيم للجدل، والميم للمنطق، وقيل: لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جميلاً مغنياً في مجالس حلب التي تكثر فيها مجالس الشعر والغناء والأدب، وتعلم الطب فزيدَ في لقبه طاء، فقيل طكشاجم ولم يشتهر به، وبقي كشاجم، وعرف بين شعراء حلب بهذا اللّقب.

أهمية الدراسة

لم يحظ هذا الكتاب بدراسة مستقلة تستجلي جميع القضايا الموضوعية والفنية لمحتواه، إلّا إشارات قليلة عند بعض الدارسين، ولا سيما أن هذا الكتاب

اشتمل على معلومات في فن الصيد والبيزرة تُبين مدى ما وصل إليه القرن الرابع في هذا الفن من دراسة طبائع الحيوان وسياسته وأمراضه وعلاجها، وما حفل به من مختار الشعر الذي قيل في الطرد.

ولم أجد دراسة مستقلة تحت هذا العنوان تطال شاعرنا، بيدَ أنني وجدت بعض الشذرات التي تتحدث عن الطرد والصيد عند كُشاجم، في عصرٍ عباسي شاع فيه صيد الخلفاء.

الدراسات السابقة

ومن الدراسات التي تحدثت عن الصيد والطرد والبيزرة كتاب " البيزرة " مؤلفه بازيار العزيز بالله نزار الفاطمي، المتوفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وكتاب الصيد والطرد عند العرب،أدواته وطرقه، حيوانه الصائد والمصيد وصاحبه عبدالرحمن رأفت باشا، وكتاب الجمهرة في علوم البيزرة، ومؤلفه عيسى بن حسان الأسدي، وشعر الطرد عند العرب ومؤلفه عبدالقادر حسن أمين، وكتاب الكافي في البيزرة لمؤلفه عبدالرحمن بن محمد البلدي، وكتاب انتهاز الفرص في الصيد والقنص للزبيدي.

وجاءت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وكان لا بدّ من الوقوف طويلاً في الفصل الأول على مفهوم الصيد والطرد والبيزرة لغةً واصطلاحاً، من خلال الرجوع الى المعاجم العربية القديمة والحديثة.

أمّا الفصل الثاني فقد تناولت فيه: وسائل الصيد وأساليبه في كتاب المصايد والمطارد لكُشاجم، فبحثت في عدَّة وسائل مستشهداً بالشعر وبعض من الرسومات التوضيحية لأهم الحيوانات الصائدة والمصيدة رغبةً في أن تتآزر الكلمة المكتوبة مع الصورة المرسومة في التعريف بهذه الحيوانات وتمييز بعضها من بعض، ومن هذه الوسائل: الصيد بإيقاد النار، والشباك، وبالحيلة، والجلاهق، والأوهاق، والزُّبى، واللبابيد، والكلاب، والصقور، والقوس، والكمائن، وفوائد الصيد، والتداوي به ومنه.

وجعلــت الفــصل الثالــث لدراســة طبــائع الحيوانــات فــي كتــاب المــصايد والمطــارد لكــشاجم، فتناولــت فيــه طبــائع الحيوانــات (الكلــب، حمــار الــوحش، الظبــي، الدُّب) وكذلك طبائع الطيور (النسر، القطا، القُّبج).

أمّــا الفــصل الرابــع فجعلتــه للدارســة الفنيــة، للقــصائد التــي تناولــت القــضايا الموضــوعية، فقــد درســت فيــه شــكلَ الطرديــة وبناءهــا وأســلوبها، والــصورة الفنيــة، واللغــة، والموســيقى الــشعرية، وجــاء هــذا الفــصل مــستجلياً لهــذه القــضايا الفنيــة، وكاشفاً عن حقيقتها.

ثــم انتهــت الدراســة بخاتمــة أجملــتُ فيهــا أبــرز النتــائج التــي خلــصت إليهــا، ومن ثم أثبتت المصادر والمراجع التي أخذت منها.

وأخيــراً وإننــي لا أدعــي لنفــسي إعطــاء الموضــوع حقــه، ولا الوصــول بــه إلــى الكمــال، ولكــن حــسبي أننــي صــدقت النيــة، وأخلــصت القــصد، وبــذلت جهــدي؛ ليخــرج فــي أفــضل صــورة أرضــى عنهــا، فــإن أصــبت فــذلك مــن توفيــق الله وفــضله، وإن كانت الأخرى، فذلك من طبيعة البشر، والكمال لله.

الفصل الأول

مفهوم الصيد والطرد والبيزرة لغةً واصطلاحاً

1.1 الطارد والمطرود

عُرف العرب في جاهليتهم بالفقر؛ وذلك لطبيعة الحياة التي عاشوها فحياة البداوة وطبيعة الترحال قاسية، وللقضاء على هذه الحالة؛ توجهوا للبحث في الطبيعة عما يسدّ جوعهم، فلاحقوا الضواري ووحوش الصحراء، ومن هنا عرف الصيد وسيلة طبيعية لتوفير قوتِهم، فإن الله سبحانه وتعالى خالق الكون لم يخلقه عبثاً ولم يهمله، وإنما جاء خلقه لغاية عظيمة، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى، فالله خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، ولم يتركه يعيش في هذه الحياة كيفما شاء، وإنما بيّن له المنهجية التي ينبغي أن يكون عليها.

فقد سخر الله تعالى الحيوان للإنسان، حيث خلقه الله تعالى وذلّله، وكان الإنسان منذُ القدم يعتمد على الحيوان يأكل لحمه ويتدفأ بدهنه، ويتخذ من وبره وجلده غطاء وكساء، "وقد كانت العرب أمة مبتدئة تعيش في جزيرتها عيش الإملاق، ومن طبيعة أهل الوبر –إذا أملقوا- أن يعتمدوا في عيشهم على الصيد، ويتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى، "فيقتاتُ بلحمه إذا عضهم الجوع، ويتدفأوا بعظمه إذا مسهم البرد، ويستتيروا بدهنه إذا أظلم عليهم الليل، ويتخذوا من أوباره غطاء وكساء، ويجعلوا من جلوده بساطا وسقاء"[1].

وقد جاءت الآية الكريمة تدلّ على نعمة من نِعم الله العظيمة على الإنسان وتسخِّير هذه الأنعام للإنسان قال تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا

---

[1] الباشا، عبد الرحمن رأفت، الصيد عند العرب أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، 1983، ص23

عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ(1) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (2) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ(3)".[1]

فالله سبحانه وتعالى العليم بما ينفع الإنسان وبما يضره، ورب الكون خلق هذه الحيوانات بعضها للأكل وبعضها للركوب إلى غير ذلك من الإنتفاع.

والعديد من الشعراء تحدثوا في قصائدهم عن الحيوانات بأنواعها المختلفة، وكان بعض الشعراء يصفون تلك الحيوانات وصفاً دقيقاً، ولا سيما في المجالس الشعرية عند الأمراء و الخلفاء، فيستمتعون بذلك الوصف فيجزلون لهم العطايا، وكان بعض الشعراء يرافقون الخلفاء في رحلات الصيد والقنص؛ لوصف هذه الرحلة بأشعارهم[2]، وكثير من علماء الأدب دوّنوا أسماء الحيوانات والطيور في كتبهم، ومن المؤلفات في ذلك: كتاب النضر بن شميل "الإبل والغنم والشاة والطير"، والجاحظ في كتابه "الحيوان"، والأصمعي في كتاب "الإبل والخيل والبازي والحمام"، وكتاب أبي عبيدة في الإبل، وأبي زيد أستاذ الجاحظ كتابه في الوحوش، وكتاب عبد الرحمن رأفت باشا "الطرد"، كتاب المصايد والمطارد لكشاجم التي يدور حولها البحث.

إلى أن جاءت الدولة العباسية "حيث كان الخلفاء يقضون وقتاً طويلاً في الصيد "فأبو العباس قبل أن يلي الخلافة قضى كثيراً من وقته في الصيد، فقد صاد وهو غلام صغير، وصاد وهو شاب يافع، وصاد بعد ذلك وهو خليفة مكتهل"[3]، وكان شديد الولع بالضواري شديد اللهج بالصيد، وكان إذا تخلفت ضواريه ولم تصد الصيد الذي يليق بها شكا من ذلك وخجل، وجعل يخرج

---

[1] سورة يس، الآية (71-73).

[2] الباشا، الصيد عند العرب، ص39 / الفاطمي بازيار العزيز بالله، كتاب البيزرة، علق عليه: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق (د.ت)، ص42.

[3] المصدر نفسه، ص39.

للصيد منفرداً عن عسكره وليس معه إلّا عدد من أصدقائه وخاصته من أمثال خالد بن صفوان[1].

وكان العباسيون يصيدون السباع والخنازير البرية دفعاً للأذى، فضلاً عن الغزلان والطيور وحمر الوحش[2].

2.1 مفهوم الصّيْد

جاءت لفظة الصيد في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمعاجم العربية، فقد وردت في القرآن الكريم في قوله:(أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)[3]، فتُظهر لنا أن الصيد مشروع مباح، وقد جاء أيضا قوله تعالى:(وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ)[4]، وفي موقع آخر جاء قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ)[5]، وقوله تعالى: (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا)[6]، فإن الله تعالى يبتلي الناس بشيء من حيوانات الصيد عند ذهابهم للحج أو العمرة يصطادونها: إما بأنفسهم وإما عن طريق رماحهم وهي أسلحتهم ليعلم من يطيع أحكامه او يعصيها، يقول تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ

---

[1] الباشا، الصيد عند العرب، ص39 / المنكلي، محمد، أُنس الملا بوحش الفلا، تحقيق: محمد عيسى صالحية، ط1، دار البشير، عمان، 1993م.

[2] زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة دار الهلال، القاهرة، مصر، 1985، ج5، ص178.

[3] سورة المائدة، آية 1.

[4] سورة المائدة، آية 2.

[5] سورة المائدة، آية95.

[6] سورة المائدة، آية96.

الـصَّيْدِ تَنَالُـهُ أَيْـدِيكُمْ وَرِمَـاحُكُمْ لِـيَعْلَمَ اللّـهُ مَـن يَخَافُـهُ بِالْغَيْـبِ)[1]، ولـم يُحـرّم الله صـيد البحـر علـى النـاس، سـواء أكـانوا حجاجـا أم معتمـرين أم غيـر ذلـك، وفـي هـذا قـال تعـالى: (أُحِـلَّ لَكُـمْ صَـيْدُ الْبَحْـرِ وَطَعَامُـهُ مَتَاعًـا لَّكُـمْ وَلِلـسَّيَّارَةِ وَحُـرِّمَ عَلَـيْكُمْ صَـيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا")[2].

أمّـا مـا جـاء فـي الحـديث النبـوي الـشريف عـن الـصيد، فقـال الرسـول صـلى الله عليــه وسـلم: (إن هـذا البلـد حـرام، يعـضد شـوكته، ولا يختلـي خـلاه، ولا ينفـر جـسده، ولا تلـتقط لقيطتـه إلا بـالمعروف)[3]، وقولـه الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم أيـضاً: (إذا أرسـلت كلبـك المعلَّـم وذكـرت اسـم الله عليـه فكـل)[4]، وهـذا الحـديث يتوافـق وقـول الله تعـالى: (فَكُلُـواْ مِمَّـا أَمْـسَكْنَ عَلَـيْكُمْ وَاذْكُـرُواْ اسْـمَ اللّـهِ عَلَيْـه)[5]، أي أن يسمّي الإنسان عند إرسال الجارحة.

وعلـــى المـــسلم أن لا يمـــضى الأوقـــات الكثيـــرة بالـــصيد، وقـــد جـــاء فـــي الحـديث "مـن تتبـع الـصيد غفـل"[6]، وينبغـي أن يقـصد التـصيد للأكـل ولبيعـه، أو ليتـصدق بلحمـه، كمـا قـال الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم: " فـي كـلِّ كبـدِ رطبـةِ أجـرِ"[7]، وأول مـا ورد مـن أحكـام الـصيد عنـد العـرب مـا جـاء فـي القـرآن الكـريم، ومـا ورد عـن الرسـول صـلى الله عليـة وسـلم، حيـث جعلـوا هـذه الأحكـام أساسـا بنـوا

[1] سورة المائدة، آية 94.

[2] سـورة المائـدة، آية 96.

[3] سابق، السيد، فقة السنة، المجلد الأول، دار الفتح للإعلام العربي، 1999، ص475.

[4] العيد، ابن دقيق، إحكام الإحكام في شرح عمدة الأحكام، دار الجيل، 1995، ج1، ص671.

[5] ســورة المائــدة، آية 4.

[6] سابق، السيد، فقة السنة، ص478

[7] الزبيدي، تقي الدين ابو العباس، انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، اليمن، 1985، ص36.

عليهـا، ومنطلقـاً انطلقـوا منــه، والأدل علــى ذلـك مـن أن جـلّ كتـب البيـزرة التــي يقف عليها الباحث تفتح بالآية الكريمة[1]، قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)[2].

وجعلـت بعـض الكتـب مـا وردِ فـي القـرآن سـبباً فـي جـواز ممارسـة الـصيد، ومعالجة موضوعه.

ولـم يكتـفِ العـرب بالأحكـام الـصيدية التـي وردت فـي القـرآن الكـريم، والـسنة النبويــة، وإنمــا اجتهـدوا بأنفـسهم مـن خــلال تـوافر المعلومـات حـول الحيـوان مـن العـصور القديمــة، وذلـك مـا أدى إلـى إنتـاج كتـب الحيـوان والبيـزرة "ومـن بعـض المؤلفات في هذا العلم:[3]

1. النضر بن شميل(203هـ) كتاب (الإبل والغنم والشاة والطير).
2. أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنـى (209هــ) كتـاب فـي الإبـل، كتـاب فـي الخيـل، كتاب في البازي والحمام والعقارب.
3. أبو زيد أستاذ الجاحظ(215هـ) كتاب في الوحوش.
4. أبو الحسن الأخفش(215هـ) كتاب في الغنم والشاة.
5. الأصـمعي ت(216هــ) كتـاب فـي الإبـل، وكتـاب فـي الخيـل، وكتـاب فـي البازي والحمام والحيات والعقارب.
6. ابن الأعرابي(231هـ) كتاب في الخيل.
7. أحمد بن حاتم الباهلي ت(245هـ) كتاب في الخيل، وكتاب في الطير.
8. أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي(245هـ) كتاب في الخيل.
9. أبو ملجم محمد بن هاشم الشيباني ت(245هـ) كتاب في الخيل.

---

[1] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص37.

[2] ســـورة المائــدة، آية 4.

[3] انظر، ربابعة، حسن، السيمائية والتجريب عند الجاحظ، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، مؤتة، الكرك، 2007م، ص48.

1.2.1 الصّيْد لغةً

وردت لفظة الصيد في المعاجم العربية، ففي لسان العرب المحيط "صاد الصَّيْدَ يَصِيدُه ويُصادُه صَيْداً إذا أخذه وتَصَيَّدَ، واصطادَه وصادَه إياه، يقال صِدْتُ فلاناً صَيْداً إذا صِدْتَه له، كقولك بَغيُه حاجه أي بَغَيْتُها له، صادَ المكان واصطاده، ويجوز أن يُعنى به عن المُتصيد[1].

وما ورد في معجم محيط المحيط حول هذه اللفظة، فجاءت "صادهُ يصيدهُ ويصادهُ (من باب خَرَب وعلم) صيداً قنصهُ وأخذه بحيله كما يُصاد السمك والطيور والسباع، فهو صائدُ وذاك مَصِيدْ، وصاد فلاناً صَيْداً صاد له، وزيد جعله أَصْيَد أي جعله مائل العنق[2]، وجاءت الصيد في مختار الصحاح بمعنى: (صادُه يصيدُه ويُصَاد صيْداً اصطاده، والصيد أيضاً المصْيد، وخرج فلان يتصيد)[3].

وأما ما ورد في المعجم الوسيط عن لفظة الصيد فكان، (الصّياد من حرفته الصيد،فالصيد هو ما يُصاد)[4]، ومن خلال اطلاعي على بعض المعاجم العربية قديمها وحديثها توصلت إلى أن الصيد: هو حرفة ومهنة احترفها الإنسان ووظفها للبحث عن الغذاء من خلال مجموعة من الحيوانات البرية والبحرية، وهذه الحرفة استخدمها الإنسان القديم، وما زالت تستخدم إلى يومنا

---

[1] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، لبنان، 1980، باب (الدال)، فصل (الصاد)، مادة (صَيَدَ)، ج3، ص48.

[2] البستاني، بطرس، قاموس محيط المحيط، مكتبة، لبنان، مطابع مؤسسة جواد للطباعة، بيروت، ط سنة 1977.، ص526.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تدقيق: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، الأردن، 2007، باب (الصاد)، فصل (صيد)، ص289.

[4] إبراهيم، أنيس؛ وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (د.ت)، ج1، باب(الصاد)، مادة (صَيَدَ)، ص 264.

هذا، فمن الناس من يعتاش ويقتات منها، ومنهم من يأخذها هوايةً، ومنهم من يجد فيها التسلية للترويح عن النفس.

2.2.1 الصيد اصطلاحاً

والصيد بمعناه العام عند العرب ضرب من ضروب النشاط الإنساني، والبحث عن الغذاء[1]، ولم يقتصر بعد ذلك على هذا، وإنما تطور إلى أن أصبح متعة لمن يجدون الكفاية المعيشية، واقترنت الظاهرتان معاً كما يعكسهما الشعر الجاهلي، فهناك الصائد الغني المترف الذي يركب فَرَسه، ويخرج في زمرة من أصحابه ومعه الكلاب المدربة على الصيد، ويطارد البقر الوحش، وهناك الصائد الفقير الذي يسعى إلى قوت عياله، وهو رجل "مفرَّع"، أطلس الأطمار، أو رذل الثياب خفي الشخص منزرب، نجده لاطئاً في قُترة[2] قريبة من مشرعة ماءٍ، وقوسه في يده، وفريسته دائماً حمر الوحش[3].

وأمّا الصيد اصطلاحاً: فهو أحد أقدم الأنشطة الإنسانية للاقتيات بعد مرحلة الجمع والالتقاط، وقد وظّف العرب لذلك وسائل صيد عدة منها: الحجارة والرماح، والجوارح والضواري وغيرها.

---

[1] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص345.

[2] الزبيدي، تاج العروس، ج8، مادة (قَتَرَ)، ص134.

[3] البلدي، عبد الرحمن بن محمد، الكافي في البيزرة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس وعبد الحفيظ منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ص6.

3.2.1 فوائد الصيد وتاريخه

يتميـز الـصيد كغيره مـن الهوايـات بالعديـد مـن الميـزات التـي تجعـل منهـا هوايـة محببـة لـدى العديـد مـن الملـوك والأمـراء والعامـة مـن النـاس، ومـن فوائـده الرياضـة اولاً: تفيـد الأجـسام، فكثـرة التنقـل مـن مكـان إلـى مكـان آخـر فـي البحـث المـستمر تجعـل الـصياد ذا بنيـة جـسدية قويـة، ومـن فوائـده ثانيـاً: أنـه مـصدر للـرزق، وذلـك بحكـم حيـاة البـداوة التـي تعتمـد علـى التنقـل مـن مكـان لآخـر، والترحال، فالناس لا يحملون إلّا ما خف من الزاد وزنه، وطال نفعه.

ومـن فوائـده ثالثـاً: العلـم بالـصيد ممـا يخفـي علـى كثيـر مـن الآخـرين؛ فكثـرة تنقلـه فـي البحـث عـن أراضـي الـصيد عالمـاً بتضاريـسها ومـسيرها واتجاهاتهـا والإلتقـاء بالنـاس مـن عـرب وعجـم، ويكـون الـصيد فرصـة لتبـادل الثقافـات؛ وذلـك لأنـه يواجـه أناسـاً مـن شـتى البقـاع، ويعـرف أحـوالهم ولغـاتهم وعـاداتهم وثقافـاتهم ومـصادر رزقهـم، والـصيد رابعـاً" يفـاد فـي النـشاط والأريحيـة، والمنـافع الظـاهرة والباطنـة، والمـران والرياضـة والخفـوف والحركـة، واتبـاع الـشهوة واتـساع الخطـوات وخفة الركاب[1].

وقـد شـهد العـصر العباسـي اهتمامـاً واضـحاً بالـصيد، فجعلـوه فـي طليعـة اهتمـامهم، إذ إنهـم كـانوا يقـضون فـي حفلاتـه ورحلاتـه أجمـل أيـام العمـر، وينفقـون علـى جوارحـه وضـواريه المـال الغزيـر[2]، وكانـت ولايـة الـسفاح شـأن المـسلمين سـبباً فـي ولـع النـاس بالـصيد وإقبـالهم عليـه، فـأبو العبـاس كـان قبـل أن يلـي الخلافـة يحيـا حيـاة فيهـا كثيـر مـن الفـراغ، وفيهـا رغبـة فـي الإبتعـاد عـن متنـاول أيـدي ولاة

---

[1] الفاطمي، البيزرة، ص6.

[2] الشراري، عبدالعزيز محمد، صيديات الشاعر ابي نواس وطردياته وبيزرته، جامعة مؤته، 2011، ص18

بنـي أميـة، وكـان ذلـك يغريـه بالـصيد ويدفعـه إليـه[1]، فالـسفاح نـشأ منـذ صـغره شـغوفاً بالـصيد، إلـى أن وصـل إلـى أواخـر عمـره،" فنـشأ الـسفاح صـائداً، فقـد صـاد وهـو غُليّم صغير، وصاد وهو شاب يافع، ثم صاد بعد ذلك وهو خليفة مكتهل"[2].

ويرجـع تـاريخ الـصيد إلـى الجاهليـة، إذ لـم يكـن الـصيد عنـد العـرب وسـيلة مـن وسـائل الـرزق فحـسب، وإنمـا كانـت متعـة مـن متـع الـنفس، وضـرباً مـن ضـروب الحـرب فـي أيـام الـسلم[3]، وكانـت العـرب تعلـي مـن شـأن القـانص، وتمـدح الرجـل بأكلـه مـن صـيد يـده، وتعـدُّ آيـة علـى أنفتـه، وعلامـة علـى زهـده بمـا فـي أيـدي النـاس، وكـان أبنـاء الملـوك مـن العـرب يفتخـرون بالـصيد وأكـل لحمـه، مـن ذلك قول امرئ القيس على الرغم من عراقته في الملك وأصالته المجد:

وظلّ طهاة اللحم من بين مُنضج حفيـــف شِواء أو قدير مُعجل[4]

ولمّـا جـاء الإسـلام برسـالته الـشاملة لـشؤون العقيـدة والحيـاة، وأخـذ العـرب يبنـون حيـاتهم الجديـدة علـى أسـسه وتعاليمـه، ويـسألون (الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم) عـن حِـلّ الـصيد وحرمتـه، وأن يقفـوا علـى رأي الإسـلام بهـذا الأمـر الحيـوي الهـام، فمـضى المـسلمون علـى ذلـك زمـن الرسـول الكـريم وخلفائـه الأربعـة الراشـدين حتـى آل الأمـر إلـى بنـي أميـة، وعـد المـسلمون فـي بـسطة مـن العـيش وسـعة فـي الـرزق، وسطوة في الملك.

والـصيد فـي عـصر بنـي أميـة بـاب مـن التـرف، ومجـال للإنفـاق لا حـدَّ لـه فـصاحب البيـزرة يقـول: (إنـه لا مؤونـة أغلـظ مـن تكلـف آلات الـصيد؛ لأنهـا خيـل وفهـود وكـلاب وآلات تحتـاج فـي كـل قليـل إلـى تجديـد، ومـن هنـا كـان لا يـشغف

---

[1] الفاطمي، البيزرة، ص19.

[2] انظر، الباشا، الصيد عند العرب أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص37.

[3] انظر، المصدر نفسه، ص23.

[4] الفاطمي، البيزرة ، ص10.

بالـصيد إلا سـخي)[1]، وقـد ورث الوليـد بـن يزيـد عـن هـشام بـن عبـد الملـك ولعـه بالـضواري، فاصـطحب ابـن قدامـة مـن بعـده، وجعلـه صـاحباً لـضواريه حـين آلـت إليـه الخلافـة، بـل إن ولـع الوليـد جـاوز الحـد، ممـا جعـل هـشاماً نفـسه يعمـل علـى الكـف مـن غلوائه في ممارسة اللهو بالضواري وغيرها[2].

ومـا إن جـاءت الدولـة العباسـية حتـى اتـسعت دولـة الإسـلام فـي المعمـورة، وكـان خـراج الأرض يُجبـى مـن هنـا وهنـاك، ثـم لا يلبـث حتـى ينـصب كلـه فـي خـزائن بنـي عبـاس، وكـان النـاس يعيـشون فـي رغـد مـن العـيش ممـا أدى إلـى إقبـال الحكـام والمحكـومين علـى التـرف والمتعـة، وكـان للـصيد نـصيب في ذلـك، ومـن هنـا زاد الإقبـال علـى الـصيد بالـضواري والجـوارح، فـأتقنوا فنونـه وأحكمـوا آلاتـه، فلمـا صـار لهـم فـي المجتمع الجديد مقام الريادة والتوجيه إليه كل ما كان لديهم في هذا المجال[3].

وشـغف الخليفـة هـارون الرشـيد بـن المهـدي (149 -193هـ) بالـصيد وأحبـه وكـان يعـشق الـصيد علـى أنواعـه، "قلـم يتـرك فراغـاً مـن وقتـه فـي مواسـم الطـرد والقـنص إلا أجـل نزهتـه وسـهوه، وكـان للخليفـة مواسـم صـيد، فـي الخريـف والربيـع فكـان يـأمر الفهـادين والبيـازرة وأصـحاب الكـلاب الـسلوقية والـصقور وسـائر خَدمـة الطـرد والقـنص، فيأمرهم بالخروج إلى أرض دجيل"[4].

والـصيد نوعـان: صـيد البـر؛ وهـو مـا يخـص الجـوارح والـضواري، وصـيد البحـر (ويكـون بالـشباك والـصَّنانير وغيـر ذلـك، وكـان مـن أجـلّ الـصيادين أميـر المـؤمنين هـارون الرشـيد وأبـو نـواس، وابنـه الأمـين، وأحمـد بـن يحيـى نديمـه،

---

[1] الفاطمي، البيزرة، ص20.

[2] انظر الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)، تحقيق: محمود شاكر و احمد شاكر، ج520/5 وما بعدها.

[3] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقة حيوانه الصائد والمصيد، ص38.

[4] انظر السيوطي، جلال الدين أبو بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر،1987، ص273.

وغيـرهم)[1]، أمـا لحـم الـصيد، فـذو طعـم خـاص إذا كـان طازجـاً (ولحـم الـصيد مـن أفـضل اللحـوم كمـا قـال الحكمـاء، وإذا أعـوزهم لحـم الـصيد، أمـروا بإتعـاب الحيـوان المـأكول وذبحـه عقـب ذلـك، فيكـون ذلـك أسـرع لنـضجه وأطيـب للحمـهِ)[2]، وممـا يـذكر بهـذا الـصدد (أن نفقـات الـصيد، ووسـائله فـي دور الخليفـة المتوكـل بلغـت ألف درهم في السنة)[3].

3.1 مفهوم الطَّرديات

1.3.1 الطَّرد لغةً:

وردت كلمـة الطـرد فـي المعـاجم العربيـة علـى أنهـا الـشَّل والإبعـاد، وطرَدتـه الكـلاب طـرداً نحتـه وأرهقتـه، أمـا الطّـرد: فمزاولـة الـصيد، والطّـردُ: الـشّلُّ، طـرده يطـردهُ طـرداً وطَـرَداً وطـرَّده، والطّريـد: المطـرود مـن النـاس، وفـي المحكـم المطـرود، والأنثـى طريـد وطريـدة، وجمعهـا معـاً طرائـد والطَّـردُ: الإبعـادُ، وكـذلك الطَّرَدُ،بالتحريـك، والرجـل مطـرود وطريـد واطّـرَدَ الـشيءُ؛ تبـع بعـضه بعـضاً وجرى[4].

---

[1] كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسن، المصايد والمطارد، تحقيق: محمد أطليس، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1980، ص5.

[2] الزبيدي، انتهاز الفرص في الصيد والقنص، ص39.

[3] العبيدي، صلاح حسين،الصيد والقنص في الآثار العربية الإسلامية، مجلة كلية الآداب، مجلد 12، عدد4، جامعة بغداد،ص136.

[4] الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العزيز مطر، 1970، دار الكويت للنشر، الكويت، ج8، مادة (طَرَدَ).

وطـردتِ الكـلابُ الـصيدَ طـرداً؛ أنحتـه وأرهقتـه[1]، ويقـال: هـم فرسـان الطِـرَد، واطـرَدَهُ صـيّره طريـداً، والـسلطان فلانـا أمـر بطـرده أو بإخراجـه عـن البلـد، وللـسابق صـاحبه قـال لـه: إن سـبقتني فلَـكَ علـيَّ كـذا، وإن سـبقتك فلـي عليـك كـذا، وتطـارد الأقـران حمـل بعـضهم علـى بعـض، وأطَّـرد الآخـر تبـع بعـضه بعـضاً واسـتقام، والأنهار جرت، قال الشاعر:

وكأنَّ مُطَّرَدَ النَّسيمِ إذا جَـــــرى   بَعْد الكـــــــلالِ خَليتَتَا زَينون[2]

وأورد مختـار الـصحاح، (طَـرَدَه: أبعـده مـن بـاب نـصر وطـرداً، ويقـال طَـرَدَه فـذهب وأطـرده الـسلطان بـالألف أمـر بإخراجـه مـن بَلَـده، قـال ابـن الـسكيت: أطْـردَ الرّجُـلُ غيـره صَـيَّرهُ طريـداً، وطَـرَدَه نفـاه عنـه، والأنهـار تطَّـرِد أي تجـري)[3]، الطــاء والـراء والـدال أصـل واحـد صـحيح يـدل علـى إبعـاد، يقـال طردْتـه طـرداً، وأطَّـرده الـسُّلطان وطَـرّده؛ إذا أخرجـه عـن بلـده، والطَّـرد معالجُـة أَخْـذِ بالـصّيد، والطريـدة الـصّيد، ومطـاردة الأقـران: حمـل بعـضهم علـى بعـض، وقيـل ذلـك لأنّ هذا يَطردُ ذاكَ[4].

وفـي المعجـم الوسـيط ورد: (طَـردَ الـصيد طَـرداً عالجـهُ يحـاول صـيده، والطّـرد مزاولـة الـصيد، ويقولـون: هـذا يـوم الطّـرد وفـراخ النحـل والجمـع طُـرود، والطَّريـدة المطـرودة ومـا طُـردت مـن صـيد أو غيـره)[5]، وممـا تقـدّم يتبـيّن لنـا أنّ

---

[1] البستاني، بطرس، قاموس محيط المحيط، مكتبة، لبنان، مطابع مؤسسة جواد للطباعة، بيروت، ط سنة 1977، ص 578.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص298.

[3] الرازي، مختار الصحاح، باب الطاء، فصل الدال، مادة طرد، ص324.

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، 1999، ج3، ص122.

[5] أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص324.

الطّردَ هو: الصيدُ بالملاحقة والمطارة بالجوارح والضواري ووسائل صيد أخرى؛ وذلك من أجل الحصول على الفريسة أو الطّريدة.

2.3.1 **الطرد اصطلاحاً**:

إن العرب لم يفرقوا بين الصيد والطرد، وإن الطرد وسيلة من وسائل الصيد، فالطرد أخذ الحيوان وتصيّدُهُ وطلبه سواء كان صيد البرّ أم البحر، والطرد يكون بالملاحقة والمطاردة، وقد وردت عند كُشاجم في كتابه المصايد والمطارد، بأنّ الطرد أسلوب من أساليب الصيد (الصيد على ضروب كثيرة من الحيل وبآلات مختلفة، فمنها الشباك الظاهرة، ومنها الأشراك المستورة، ومنها ما تُدسّ في أماكن متفرقة تحت التراب من الحديد للبقر والحمير، فإذا تخطت عليه حصلت أرجلها فيه ولدغها فرمحت، فيقطع عصبها حتى تقوم)[1].

3.3.1 **البيزرة**

لقد كان يُطلق على الشخص الذي يمارس هذا النوع من الفن اسم البازيار، والبيزرة كانت ولا تزال هواية شُغِف بها الملوك والسلاطين والأمراء ووجهاء القوم سواء في الغرب أم الشرق[2].

وقد بدأ هذا الفن على الأغلب في الشرق، وانتقل منه إلى الغرب، فعرفهُ الصينيون والفرس منذ أكثر من 3000 عام، وترسّخ لدّى العرب في الماضي أن أول من مارس القنص بالبزاة والشواهين هم الروم، وأول مَن قنص بالصقور العرب، وأول مَن قنص بالعقبان أهل المغرب، ومن ثم جاء قولهم:البازي

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص47.

[2] الفاطمي، كتاب البيزرة، ص23.

أعجمـي، والـصقر عربـي، والكّـلاب للـصعاليك والفتيـان، وقـالوا إن أول مَـن ضَـرّى[1] الصقور من العرب الحارث بن معاوية بن ثور[2].

وورد فـي القـرآن الكـريم مـا يـشير إلـى أن العـرب كـانوا يعرفـون تعلـيم الجوارح قبل الإسلام، وذلك قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِين[3])[4].

أ. البيزرة لغةً:

أمّـا مـا جـاء فـي المعجـم الوسـيط بـالمعنى الـدقيق للبيـزرة بأنـه: "الـصيد بـالجوارح، وهـو علـم يُبحـث فيـه عـن أحـوال الجـوارح ومعرفـة العلامـات الدالـة علـى قوتها في الصيد، وأُخِذَ اسمُهُ من البازي لشُهْرَتِهِ في الصيد وخفته"[5].

ب. البيزرة اصطلاحاً:

والبيـزرة اصـطلاحاً هـي الـصيد بـالجوارح، وهـي مهـارة قديمـة ظهـرت باعتمـاد الإنـسان علـى الحيـوان، وهـذه المهـارة اتقنهـا الإنـسان القـديم؛ ليـتمكن مـن الحـصول علـى رزقـه إلـى أن أصـبحت فنـاً قائمـاً بحـد ذاتـه عنـد العـرب، وغيـرهم من الأمم الأخرى.

ويبـدو أن كلمـة البيـزرة اطلقـت أولاً علـى علـم حيـاة البـازي، وتربيتـه خاصـة، ثـم توسـعوا فـي مـدلولها، فجعلوهـا تـشمل البـازي وغيـره مـن الجـوارح والـضواري، وعلـى الأغلـب، فـإن كلمـة البيـزرة فـي بدايـة اسـتخدامها كـان فـي بـدايات العـصر العباسـي فـي أثنـاء اخـتلاط العـرب بالأعـاجم، حيـث إن البازيـار كـان يـدعى أيـام بنـي أميـة "صـاحب الـصيد" أو "صـاحب الـضواري"، ولكـن مـن الغريـب أن العـرب فـضّلوا لفظـة الفارسـية "البازيـار" علـى العربيـة، فكـان بإمكـانهم أن يطلقـوا اسـم

---

[1] ضرّى: درَّب الجارح للصيد ليكون ضارياً، لسان العرب، مادة، ضَرّي.

[2] انظر: البلدي، الكافي في البيزرة، ص10.

[3] المكّلب،مؤدِّب الجوارح، لسان العرب مادة (كَ ل بَ).

[4] سورة المائدة، آية 4.

[5] أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص297.

"البيّـاز" علـى صـاحب البـازي كمـا اطلقـوا "الـصّقار"علـى صـاحب الـصقر، و"الفّهـاد"علـى صـاحب الفهـد.....)[1] والبّيـاز بإثبـات اليـاء وتـشديدها، وهـو مـشتق مـن(البِّـزوان) بمعنـى التعـاون والثبـات، وفـي العـصر الحـديث تعنـي البيطـرة؛ لأن البيطرة: الاهتمام بالحيوان ومعرفة ما يضره وما ينفعه[2].

أمّـا مـن الناحيـة الاجتماعيـة فـالبيزرة مؤسـسة لهـا قواعـدها وأصـولها، ولهـا مـا يـسميه المـشارقة "زمـام" أو مـا يـسميه الأندلـسيون "خطـة" يتولاهـا صـاحب الصيد أو رئيس البيازرة أو أمير شكار.

و(للبيـازرة فـي بعـض المـدن أحيـاء خاصـة بهـم، ففـي غرناطـة حـي البيـازين)[3]، وفـي القـاهرة حـارة البيـازين، ويقـول المقريـزي (هـذه الحـارة خـارج بـاب القنطـرة علـى شـاطئ الخلـيج مـن شـرقية فيمـا بـين زقـاق الكحـل وبـاب القنطـرة......واختطـت هـذه الحـارة فـي الأيـام الأميريـة، وذلـك أن زمـام البيـازرة شـكا ضـيق دار الطيـور بمـصر، وسـأل أن يفـسح للبيـازرة فـي عمـارة حـارة الـشاطئ الخلـيج بظـاهر القـاهرة؛ لحاجـة الطيـور والوحـوش إلـى المـاء، فـأذن لـه فـي ذلـك، فاختطوا هذه الحارة، وجعلوا منازلهم مناظر على الخليج....)[4]

---

[1] الباشا الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصيد والمصايد، ص77.

[2] البلدي، الكافي في البيزرة، ص12.

[3] البلدي، الكافي في البيزرة، ص13.

[4] السيد عبدالعزيز سالم، صور من المجتمع الأندلسي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1976_1978، ص71.

الفصل الثاني

وسائل الصيد وأساليبه في كتاب المصايد والمطارد لكشاجم

استطاع العرب منذ القدم ترويض الطير والحيوان، وتسخيرها لمنفعتهم، فسلطوا بعضها على بعض، وضربوا ضعيفه بقويه، وقنصوا غبيَّه بذكيه، وجنوا ثمرات ذلك متاعاً لهم ولمن يعولون، (ولم يكن الصيد عند العرب وسيلة من وسائل الرزق فحسب، وإنما كانت أيضاً متعة من مُتع النفس، فقد انتشر الصيد بعدَّة وسائل منها الصيد بالصقور والكلاب والفهود، وقد أتقنت العرب هذه الهواية، وتميّز بها دون غيرهم)[1].

لم يترك العرب وسيلة من وسائل صيد الحيوانات إلّا استعملها في صيده، ولم يتبق حيلة من الحيل إلا قتلها بها، وغنما عدَّد الطرق ونوّع الوسائل تبعاً لاختلاف طبائع الحيوانات وتغاير خصائصها، فمن الحيوانات ما يُصاد بالشباك الظاهرة، ومنها ما يُصاد بالأشراك المستورة، ومنها ما يُرمى بالسهام والبندق، ومنها ما يؤخذ بالحفائر والزُّبى، ومنها ما يصاد بالحبال مجاورة، ومنها ما يصاد بالرجال محاصرة، ومنها ما يقتحم عليه وكره، ومنها ما تلقى الأوهاق في حلوقه، ومنها ما يصاد بالنار، ومنها يقنص بالجوارح كالصقر والبازي، ومنها ما يصاد بالضواري كالكلب والفهد.

ويبدو أنهم استعملوا أربعة من الوسائل هي الأسلحة والجوارح والحيوان والحيل[2]، يقول أسامة بن منقذ:(كنَّا نخرج من باب المدينة إلى الصيد ومعنا

---

[1] الفاطمي، البيزرة، ص13.

[2] العبيدي، الصيد والقنص في المصادر الأثرية في العصر العباسي، ص1.

جميع آلة الصيد، حتى الشباك والفؤوس والمجارف والكلاليب لما ينجز من الصيد، ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب)[1]

1.2 وسائل الصيد وأساليبه التي تعرض إليها كشاجم في كتابه المصايد والمطارد.

1.1.2 الصيد بإيقاد النار

ومن أدوات الصيد النار، فإن هنالك طائفة كبيرة من الحيوانات إذا أبصرت النار دُهشت وذهلت وأُخذت، فالظبي يُصاد بإيقاد النار قريباً منه، "فهو لا يزال يأنسها ويدمن النظر إليها حتى يعشى بصره، ويُذهل عقله ولا سيما إذا أضيف إلى النار تحريك الأجراس فإنه يغترُّ ويضعف ولا يبقى به حراك البتةٍ"[2]، وكانت العرب إذا خافت الأسود، "أوقدت حولها النيران وهوّلت بها عليها، فإذا عاينها الأسد حدَّق إليها وجعل يتأملها، فكثير ما كانت تشغله عن الرحالة وتكف عن الناس أذاه"[3] يقول الشاعر في صيد الظباء بهذه الطريقة:

سِوى نارِ بِيضٍ أو غَزالٍ بِقَفْرةٍ   أغنَّ مِنْ الخُنْسِ المناخِرِ توءمِ[4]

2.1.2 الصيد بالشِّباك

وهي من آلات الصيد شَركَة الصائد يصيد بها في البر والماء، وجمعها شَبَكٌ و شِبَاك[1]، وهي تُتخذ من خيوط الكتّان أو القطن أو الحرير، تُعقد عُقداً

---

[1] ابن منقذ، أسامة،، كتاب الإعتبار، حرَّره: فيليب حِتّي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دت، ص211.

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط2، ج4، 1995، ص414.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص134

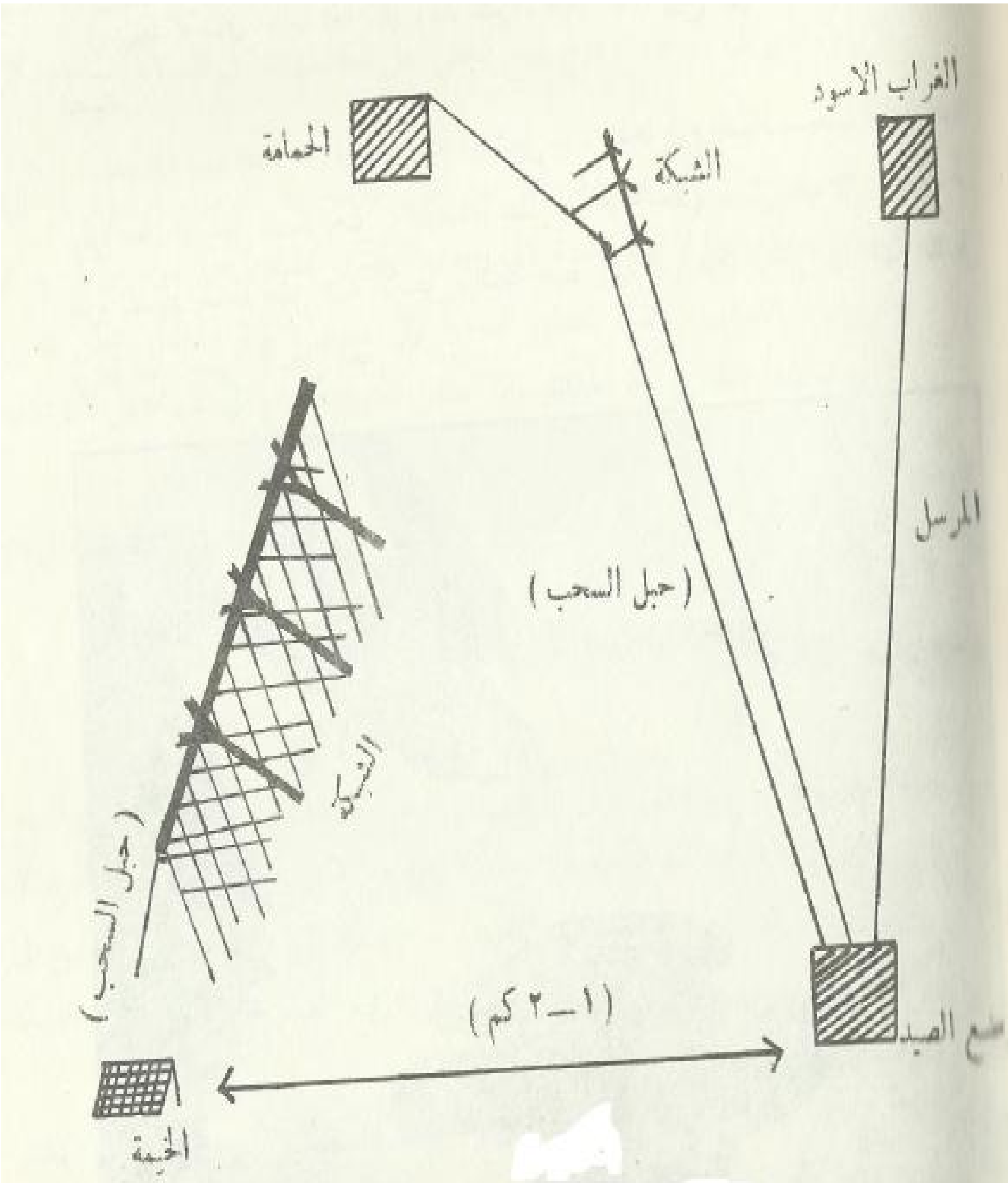
[4] المصدر نفسه، ص134.

حتـى تتـشابك، ثـم تُنـاط بحافتهـا أوتـاد تـشدها إلـى الأرض، وتنـصب الـشباك فـي المراعـي الخـصبة وفـي الأوديـة التـي تأنـسها الوحـوش وعلـى مـشارف الميـاه، ويكثـر حولهـا مـن العلـف الـذي يغـري الطرائـد بـالاقتراب منهـا ويـؤدي بهـا إلـى الـسقوط فيهـا وأول من تصيَّد بالشبكة المتوكل وقيل المعتصم وكان يطلق عليها الحبَّالة[2].

---

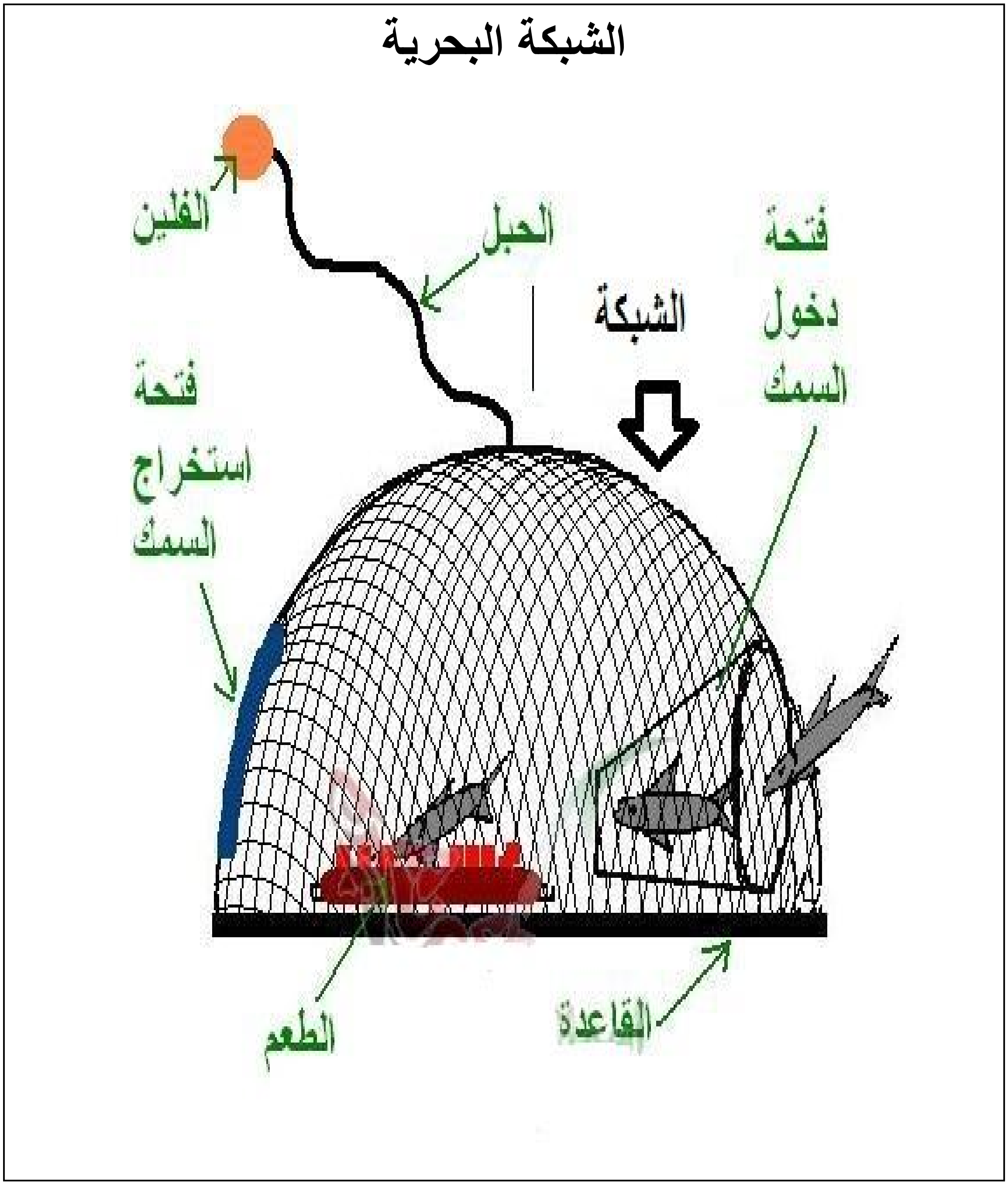
[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص239.

[2] الفاطمي، كتاب البيزرة، ص138.



الشكل يبيّن طريقة عمل الشبكة البرية

وهـذا أيـضاً مخطـط يوضـح كيفيـة نـصب الـشبكة البحريـة الـواردة فـي كتـاب المصايد والمطارد:



طريقة الصيّد بالشبكة

عندما يشاهد الصقر بنظره الثاقب الغراب طائراً عن بعد، يأتي مسرعاً إلى ذلك المكان، وعندما يشعر الغراب بوجود الصقر يقوم بالصياح وينبه الصياد الموجود في موضع الصيد إلى وجود الصقر، والأخير عند اقترابه يشاهد الحمامة التي تعتبر غذاءه المفضل فيهمل الغراب وينقض على الحمامة ويغمد مخالبه فيها، عندها يقوم الصياد ويسحب الحبل الذي يربط فيه ساق الحمامة ببطء والصقر منشغل في تمزيق الفريسة، وعند وصول الحمامة إلى الحلقة الموجودة في منتصف الشبكة، يقوم الصياد بسحب (حبل الصيد)؛ لتقع الشبكة على الصقر، ويصبح حينها أسيراً، وفائدة الحلقة هنا هو توجيه الحمامة عند السحب إلى منتصف الشبكة، وعندما يتعذّر على الصياد رؤية الصقر يشعر بأن الحمامة وصلت إلى منتصف الشبكة عند توقف الحبل عن السحب)[1].

أما وظيفة الغراب فهي ما يلفت النظر يقول الصيادون: إنّ الغراب عندما يرى الصقر يبدأ بالصياح ويظهر أن العلاقة بين الصقور والغربان خالية من الانسجام وخصوصاً الشاهين حيث تسود بينهما علاقة متوترة ونزاع دائم، وهذا الشكل يظهر ذلك العداء بين الصقر والغراب.



---

[1] انظر الخفاجي، أمجد حسين، الصيد بالطيور الجارحة، 1987، ص22.

3.1.2 الصيد بالحيلة

ومن الوسائل التي أشار إليها كشاجم في كتابه الصيد بالحيلة اقتناص الطيور والوحوش والطرائد، فقد أكثر الصائدون من الاحتيال على طرائدهم، وافتنُّوا في ذلك ما وسعهم الافتنان، لما عرف عن العربي بالدهاء والذكاء، ومن الحيل التي استخدمها الصيادون في ذلك (الصّفير)، (فقد اصطاد الصيادون منذ القدم بهذا الأسلوب فيعمل الصائد على تقليد صوته بالصفير، فيصغي إليه ويأذن له، ويقصد للموضع الذي يسمعه منه فعندما يقترب منه يسهل عليه صيده)[1] فيقول أحد الشعراء المشغوفين بالطرد:

عِنْدنَـــا جَــدْيٌ فَرَيـــص   ولنا جَـــــامٌ خبيـصْ
ولـــنا مِـــنْ صَيـــدِنا   بالأمـسِ درَّاجٌ مَصـــوصْ
وعَـــروسٌ في زُجـــاجٍ   زاغَها منهُ قميـــصْ
لو خَرَطْنَـــاها فِصـــوصَاً   لأتَـــتْ مِنْها فِصـــوصْ[2]

ومن الحيل الأخرى التي يشير إليها الكاتب الصيد(**بالخُرق السود**)، فقد استعمل الصائد هذه الحيلة لاصطياد النَّعام، فهي من أشد الطيور نفاراً وسرعةً في الجري، ولكنها تصاد بالخُرق السود في مرابضها ومراتعها، فإذا آنست بها لبسها القانص، وأخذها فيكون القانص شديد الحذر، فإذا أفلتت منه ركب صهوة حصانه وصادها بسهولة فيقول أحد الشعراء في هذا:

قد ألبسُ اليومَ حتـــى يَنْثَنِي خَلَقاً   وأركبُ الليل بالغُرِّ الغرانيـقِ
وأنتحي لنعام البَرِّ سلـــــهبةً   كأنها بعضُ أحجارِ المجانيقِ
تُسدَى الريـــاحُ بِها ثَوباً وتُلْحِمُــه   مما يلبَّس من نَسجِ الأخانيقِ
كأنّما ريشُها والريـــحُ تَفْرُقُـــه   أسمالُ راهبةٍ شِيبَتْ بِتَشقيقِ

---

[1] كشاجم، المصائد والمطارد، ص273.

[2] المصدر نفسه، ص273.

كأنَّها حينَ هزَّتْ رأسَــها ذُعْــراً　　　سودُ الرجَالِ تَعادِى بالمزاريقِ

كأنّ أعناقَها وَهْنَاً إذا خَفَــقَــتْ　　　بها اليَلامِــعُ أدْقالُ الزواريقِ[1]

ومـن وسـائل الحيلـة ايـضاً (الـصيد بالقْرعَـة)، فيُـصاد طيـر المـاء بالقرعـة وذلـك بـأن تؤخـذ قرعـة يابـسة صـحيحة فيرمـى بهـا بالمـاء، فهـي لا تـزال تتحـرك، فـإذا أبـصرها طيـر المـاء خـاف منهـا فـي أول أمـره، ثـم لا يلبـث أن يألفهـا شـيئاً فـشيئاً، فـإذا أَنُـسَ لهـا وجعـل يـسقط عليهـا أخـذ الـصائد قرعـة وقطـع رأسـها وخـرق فيهـا موضـعاً لعينيـه، ثـم يُـدخل رأسـه ويمـشي نحـو طيـر المـاء رويـداً رويـداً، وكلمـا دنـا مـن طـائر قـبض عليـه مـن رجليـه ثـم غمـسه فـي المـاء ودقّ جناحيـه وتركـه، فيبقـى طافيـاً فـوق المـاء يـسبح برجليـه ولا يطيـق الطيـران حتـى إذا فـرغ مـن صـيد مـا يـروم صيده رمى بالقْرعَة والتقط الطيور الطافية وذهب بها[2].

د. الصيد بالجُلاهِق

مــن أدوات الــصيد الجُلاهِــق[3] بــضم الجــيم وكــسر الهــاء، والجُلاهِــق لغــةً: (البُنْــدق الــذي يرمــى بــه، وهــو طــين مــدملق مــدور، ومفــرده جلاهقــة ومثنــاه جلاهقتــان، وهــو فارســي معــرب أصــله (جُلَــهْ) وهــي" كُبّــة "[4] الغــزال أمــا فــي الإصـطلاح: فهـي قـوس تتخـذ مـن القنـا ويلـف عليهـا الحريـر وتغـرَّى وفـي وسـط وترهـا قطعـة دائريـة تـسمى " الجـوزة " توضـع فيهـا البندقـة، فـإذا شـدَّ الـوتر عنـد

---

[1] الكوفي، علي بن محمد، ديوانه، ترجمة وتحقيق: محمد حسين الأعرجي، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، 1998، ص63.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص44.

[3] جُلْهق: الجُلاهِقُ: البُنْدُقُ، ومنه قوس الجُلاهِقِ، وأَصله بالفارسية جُلَهْ، وهي كُبّة غزل، والكثير جُلَها، وبها سمي الحائك.انظر، ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص37.

[4] الزبيدي، تاج العروس، 194/2.

الرمـي قـذف بالبندقـة وأصـاب الهـدف، وتـسمى هـذه الآلـة قـوس البنـدق)[1]، والـصائد الـذي يـستعمل الجلاهـق يحمـل معـه وعـاءً مـن جلـد ويجعـل فيـه البنـدق الـذي يرمـي به، ويدعى هذا الوعاء (الجرَّادة) وهو بمنزلة الكنافة من السهام.

أمَّـا كُـشاجم فـي كتابـه فقـد تعـرض لهـذه الآلـة وذكـر أصـلها والقـصص التـي عرضـت بهـا، خاصـةً قـصة سـيدنا عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه عنـدما منـع اسـتخدامها؛ لأن(بعـض الـصبيان اصـطادوا بهـا حمـام النـاس فحظـر ذلـك فـي العمران من مكة والمدينة،لأن فيها رمياً دقيقاً جداً وإصابة عجيبة)[2].

ويـورد لنـا كـشاجم وصـف الحـسن بـن هـانيء فـي الجلاهـق التـي أخـذها أحـد الرمـاة المـاهرين الـذين لا تخطـئ إصـابة فـي صـيد الأوز والـشرارِق والعـاتِق واليلامِـق والغَرانِـق[3] فـي منطقـة مائيـة مليئـة بالأشـجار والطحالـب والطعـام الـوفير فيقول:

وَمَنْهَـــلٌ يعتّم بالغَلافـــقِ	حَـــوَى مِنْ الإوَزِّ والشَرارِقِ
والغُر مِـــنْ مُشَبَّهٍ أو عاتـقَ	سُـــودُ المآقي صُفرِ الحَمالِقِ
وآخـر فـي قصـرِ الـيلامِـقِ	كأنَّمـــا يَصْفِرْن مِـــنْ مَلاعِقِ
صبَّحتُها قبلَ الصَّبَـاحِ الفاتقِ	وقبْـــلَ وعـواعِ الغُرابِ النَّاعقِ
بكـلِّ ممسودِ القـــرَى غَرانِـقِ	مُستَحـقِبـي خرائِـــطِ البنـــادِقِ
مَـــنْ بَـرْي برّاءٍ بهنَّ حـاذِقِ	تَقـــدَّى مآقِيـــهنَّ بالغَـــلائِقِ

---

[1] ابـن القلقـشندي، أبـو العبـاس، صـبح الأعـشى فـي صـناعة الإنـشا، تحقيـق محمـد حـسين شمس الدين، طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1987م، 2/ 154.

[2] كشاجم، المصائد والمطارد، ص248.

[3] الشرارق:طائر مرقط بخضرة وحمرة وبياض ويكون كثير بأرض الحرم، الجاحظ، معجم الحيوان. والعاتق: فرخ طائر القطا حين يسقط ريشه الأول وينبت له ريش قوي والجمع "عواتِق"، وعتّق. واليلامق:القبرة الفارسية. والغرانق: ذهب بعض الناس أن الغرنيق صنف الكركيّ، وهو طائر مائي أخضر اللون طويل المنقار، انظر، الوطواط، مناهج الفكر ومباهج العبر.

وجـــادها عارضُ موت بــارقِ صَكَـــا لَها بِواطِـــنُ العـواتِق
فَهـــنَّ بَيـــنَ قَائِظِ ونَاقِقِ[1]

وفـي أرجـوزة أخـرى لمحمـد بـن الـوزير يـصف بإحـدى الجلاهـق، فهـي مـن أعجـب الأقـواس وأنـدرها بـصفرتها ولونهـا الـذي يـشبه لـون العاشـق المتـيم، فقـد صـنعها بـارٍ حـاذق كأنهـا عقـد لؤلـؤ فـي مخنـق جميـل، فهـي مزينـة كثيـرة الـدقائق، ومـن دقـة صنعها تكاد تصطاد بها الباشق السريع يقول:

وفِلقَةٍ مِنْ أعجَـــبِ الفَلائــقِ مُصْفَرّةٍ تُشبِه لَونَ العاشِـــــــقِ
قد بُريت بكفّ بارٍ حـــــاذق وفُصِّلت كالشَذر في المخانـــقِ
جَليْلَـــــــةٌ كَثيْـرَةُ الدَّقَائِـقِ أنفَـــعُ إنَّ صِيدَ بِها مِنْ باشِـــقِ[2]

والـشاعر لـم يكتـفِ بوصـف جمالهـا ودقـة صـنعها بـل أشـاد بقوتهـا وطـول مـدى رميهــا للبنــادق التــي ترمــي وتــصطاد الطيــر فــي أعــالي الــسماء كأنهــا منجنيــق فيقول:

تَسْطُو عَلى الإوزِّ والشَـــــرَارِقِ يَرمِي بِنَاباتٍ مِنْ البَنَـــادِقِ
كَأنَّها حِجَارَةُ المَجَـــــــانِــقِ تَسْتَنْزِلُ الطَّيرَ مِنْ الشَـواهِقِ
مَا الرَّميُ رَمْيَاً بِسِوَى الجَلاهِقِ[3]

أمّـا كـشاجم فيعطـي رأيـه فـي هـذه الآلـة، فهـي لديـه مُدمجـة الأوصـال، محنـوة كــالهلال مزينــة كنــصف حلقــة الخلخــال، مطيعــة تثنيهــا أينمــا شــئت، فاقعــة اللــون صــفراء كأنهــا خمــرة فاقعــة لونهــا صــفراء تجــود علــى صــاحبها، ولا تبخــل عليــه حيثما يصطاد بها:

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص249-250، ابو نواس، الحسن بن هانئ، الديوان، تحقيق: بدر الدين الحاضري محمد حمامي، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، 1992، ص193.
[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص261.
[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص262.

وفِلْقَىً مُدْمَجَةِ الأوصَـــــــالِ   مَحْنُوَّةٍ عَوْجَاءَ كالهِـــــــلالِ
أو مِثْلَ نِصفَ حلقـةِ الخِلْخَالِ   تَعودُ إنّ شِئْتَ إلــــى اعْتِدَالِ
فاقِعَــــــةُ الصُّفرةِ كالجِرْيَــالِ   رَخِيصَةٌ تَغْـــنَم كلَّ غَـــالِ
كمْ أفْضَلَتْ على ذَوي إفْضَـالِ   وكـــمْ أنالـــتْ مِنْ أخِي نَوّالِ
وقرَّبت للطَّيرِ مِنْ آجالِ[1]

وللجلاهـق رمـي دقيـق بـالغ الدقـة وإصـابته عجيبـة لا تكـاد تخطـئ، فقـد قـال كـشاجم: إنــه رأى غيـر واحـد ممـن يقـول لـصاحبه إذا مـرّ الـرف مـن الطيـر أيهـا تحـب أرميـه فأصـيبه، فيـذكر واحـداً مـن الطيـور فيقـول:(فـي أي موضـع تحـب أن أنـال بالبندقيـة فيعـين رأســه أو جناحــه أو غيـر ذلـك فيـصيب الموضـع الـذي عُـين لــه، وإنــه رأى آخـر يوقـف غلامـاً لــه ويجعـل فـي طرفـي سـبابته وإبهامـه حلقـة خاتمـه، ثـم لا يـزال يرمـي بالبندقيـة فـي حلقـة الخـاتم فتخـرج منهـا دون أن تمـس يـد الغـلام)[2]، وروى عـن بعـض الثقـات أنـه (أجـزى عـن رجلـين مـن أهـل البـصرة كانـا مـولعين بـالرمي بـالجلاهق؛ فخرجـا يومـاً إلـى بعـض الأنهـار، فـإذا همـا بأسـد يـساورهما فلمـا أيقنـا بـالموت قـال أحـدهما لـصاحبه اكـفِ عينـه اليمنـى وأنـا أكفيـك اليسرى فرمياه عن يدِ واحدة فأعمياه فسلما)[3].

هـ. الصيد بالأوهاق

ومـن آلات الـصيد الأوهـاق، وهـو جمـع "وَهَـقْ" بـالفتح وقـد يـسكن مثـل نَهْـر و نَهَـر وهـو حبـل مُغـار مـن أذنـاب الخيـل يُرمـي فـي الـشوطة فيعلـق بعنـق الطريـدة ويؤخـذ، ويـشير كُـشاجم الـى إن هـذه الطريقـة اسـتخدمتها العـرب فـي صـيد الأسـود، فأهـل الجبـل فـي نهاونـد ومـا يليهـا يـصيدون الأسـد بالأوهـاق حيـث يرمونهـا عليـه

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد،ص 263
[2] المصدر نفسه، ص247.
[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص248.

فـلا تخطئـه، وطريقـة صـيده أن يقـف علـى كـل جانـب مـن جـانبي الطريـق أو الـوادي رجـل بحيـث يكونـان متقـابلين وفـي يـد كـل منهمـا وهـق فـإذا مـر الأسـد رميـا الـوهقين رميـة واحـدة فيقعـان فـي عنقـه ثـم يجذبـه كـل منهمـا إلـى جهـة فيـسقط علـى الأرض)[1].

3.1.2 الصيد بالزُّبى

استعملت العـرب منـذ القـدم هـذا الأسـلوب فـي الـصيد، والزُّبـى جمـع زُبيـة حفـرة تتخـذ علـى مكـان مرتفـع مـن الأرض وتغطـى بمـا يـسترها، ويوضـع فوقهـا أو بـالقرب منهـا حيـوان كـالبقر أو الغـنم أو المـاعز ممـا تـشتهيه الأسـود، فـإذا رآه الأسـد أتـى إليـه؛ ليفترسـه فيـسقط فـي الزبيـة ويؤخـذ، ولا تكـون الزبيـة إلا فـي مكـان عـام عـالٍ حتـى لا تمتلـئ بمـاء الـسيل والـدليل علـى أن الزبيـة لا تكـون إلا بالمكـان العـالي، قـول عثمـان بـن عفـان فـي كتـاب كتبـه إلـى علـي بـن أبـي طالـب - رضـي الله عنـه- "فـإني كتبـت إليـك فقـد بلـغ الحـزام الطيـين[2]، وجـاوز الـسَّيْل الزبـى "والتـي ذهبـت مـثلاً بلـغ الـسيل الزبـى[3]ويـصف لنـا كـشاجم كيـف وقـع أحـد الأسـود أسـيراً مقيداً في أسره فلا مفر منه إلا إلى الموت يقول:

وَزُبْيَّةٌ مُشْـــرِفةٌ عَلـــى الرُّبَى		تَضْـــمَنُ حَتْفَاً تَحْتها مُغَيَّبـــاً
كانتْ نَعْـــراتُ الليـــوثِ سَبَباً		حتَّى تَرى الهصورَ منها الأغلبا
فيْها أسِيْـــرَاً ليسَ يَرْجُو مَهْرَبَاً		كَبَتْ بِهِ فيْها الجـــدُودُ فكبـا
كَفـاءَ ما مِـنْ الذنوبِ احْتَقَبَـا		مَنْ قدّمِ الأوّزَارِ لاقَـــى العبا[4]

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص147.

[2] وجاوز الحزام الطين يعني قد اضطرب من شدة السير حتى خلف الطين من اضطرابه، يضرب هذا المثل للأمر الفظيع الفادح الجليل.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص179.

[4] العبا: غير واضحة في الأصل.

وهكَذا الأيـــامُ تُلقَى عُقَباً[1]

فبعــد أن يقــع الأســد فــي الزبيــة يلتــف مــن حولــه القانــصون ولا يرحمونــه، فالسهام تتهال عليه من أقواسهم حتى يغدو صريعاً لا حول له ولا قوة؛ فغباؤه جلبه عندما رأى فريسته التي قرّبت من الزُّبية فيقع فيها ويقوده إلى الموت، وفي قول عبدالله بن محمد الناشئ يصف لنا هذه المكيدة:

فَسَــــرَى والحيـــنُ يَقْدُمُـــــهُ غَيرَ مَطْـــــويٍّ عَلى ظَنَنهِ
وأتَــــى يَبْـــــغِي فريسَتَـــــهُ فوهى وانْـــــهدَّ مِنْ رَكَــنِـهْ
وغَــــدَا القَـــنّاصُ فانْتَظَمو بَيْن مَتَـــــنيْةِ إلـــى ذَقْنِـهْ
بِسهَـــامٍ الحَفْـــتَه كَـــمَا تَدَرَّجَ المَقْـــــبورُ في كَفَنِهْ
فَثـــوى والتُــــربُ مَسْكَنُهُ نائيَ الأوطَـــانِ عَنْ وَطَنِهْ[2]
فَلاقِي عَليّها مِنْ صَباحٍ مُدمْــــراً لَنَا قوسُهُ بين الصَفيحِ مُتلأق[3]

ومن الأمور التي تتعلق بالصيد بالزبية (القرموس)، وهي حفيرة يحتفرها الصائد ويحوطها من جوانبها ليُستر منها شخصه وبعد أن يختبئ بها ويكمن ويسمّي العرب من يفعل ذلك (المدمِّر) وهو الصائد الذي يدفن في قترته بأوبار الإبل لئلا تجد الوحوش ريحه، ويورد كشاجم بيتاً من الشعر لأوس بن حجر يقول فيه:

فالزُّبية اتخذت منذ القدم واختصت لصيد الأسود فقط كما يشير كشاجم (الكمَّحة للذئب، والحبّاكة للذئب، والزبية للأسد، والدَّاغول للوعل، والواجُوم للثعلب)[1].

---

[1] المصدر نفسه، ص180.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص181.

[3] ابن حجر، أوس، الديوان، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، الطبعة الثالثة، 1979، ص173.

4.1.2 الصيد باللّباد

ومـن أدوات الـصيد (اللّبـاد) وهـو فـي اللغـة(قبـاءُ مـن اللّبـد، واللبـد كـل شـعر أو صـوف تـداخلت أجـزاؤه ولـزق بعـضها بـبعض فتلبّـدت)[2]، فلـم تكـن تفـارق اللبابيـدُ الـصيادين منـذ القدم واتخـذها أشـد المَهـرَة، وأحيانـا فهـي تـسترهم مـن الأسـود وتقـيهم أذاهـا، فقـد كـانوا يخرجـون مرتـدين هـذه اللبابيـد ومعهـم الأوهـاق وأثوابـه، فـإذا مـر بهـم الأسـد لـم يفطـن إلـيهم بـسبب أكيـسة اللبـاد فيرمونـه بالأوهـاق فتعلـق بـه أو يلقون عليه الأثواب فتغطي وجهه وجسده وتشل حركته ثم يأخذونه ويقتادونه.

ويـورد كـشاجم إحـدى القـصص فـي هـذا؛ منهـا أن أحـد الأعـراب دخـل إلـى بيـت فـإذا فيـه عجـوز فقـال لهـا:هـل مـن قِـرى، فقالـت أنظرنـا لـك الخيـر، فلـم تلبـث أن جـاء ابـن لهـا وعليـه لبابيـد مـضاعفة وهـو يحمـل نمـراً عظيمـاً، فطرحـه وقامـت العجـوز فأخرجـت مـن النـار لعلـه سـفّوداً فأولجتـه فـي أسـت النمـر فعـج عجـة عظيمـة ثـم هـدأ وكـشطوه وشـووه فبتنـا فـي خـصب، وإنمـا فعلـت ذلـك ليـسلم الجلـد فقال الشاعر:

فعنْها وإلا سَتُـــها مِنْ رِمَـــــايةٍ بِها عِنْد عـــرَّافٍ اليمامة ينفقُ[3]

ويقول في قصيدة أخرى لأحد الصيادين باللبابيد وهو يصطاد الأسد:

قدْ أذْعَرَ الأسودَ بالأســـــــــودِ بِمثْلِها في أيْدِها الشـــــــــديدِ
في جُنَنٍ حُمْـــــــرٍ مِنْ الُّلبَـــودِ كَأنَّـــما أُلّفْنَ مِنْ حَـــــــــديدِ

---

[1] الكمَّحة: رد الفرس باللجام، والكمحة الرافعة، لسان العرب، مادة (كَمَحَ).

الحبَّاكة: الحفيرة بقصبات تعرض ثم تشدُّ، لسان العرب، مادة (حَبَكَ).

الدَّاغول: حشر الوعل بين شقيّ جبل، لسان العرب، مادة (دَغَلَ).

الواجوم: حجارة مرتبة بطريقة عندما يدخلها الثعلب تقع عليه، مادة (وَجَمَ).

[2] ابن منظور، لسان العرب، فصل الدال باب اللّام، مادة (لَبَدَ)، ج13، ص161.

[3] كشاجم المصايد والمطارد، ص212.

أوقَـــــى لَهُم مَنْ جُنَنِ الحَـــديدِ حتّى إذا سُوِّينْ في صَعـــــيدَ
وهمْهَمَتْ هَمْهَـــمَةُ الرِعُـــــــودِ وَصِـــرْنِ في أدْنـــى مِنْ الوَرِيدِ[1]

ويقـول عبـدالله بـن محمـد الناشـئ فـي نعـت صـيده باللبـاد، فهـو يلـبس هـذا اللباد في الشتاء، ويتنكر للأسد ويطعنه بأحد الرماح الذي يوقعه:

ولِـــذَا دَرعُ مُلَبَـــــدَةٍ طالَ ما يَلْقَاه مِنْ كَلْمِهِ
مِـــنْ لِباسِ الشَّاءِ مَوْثِقُهُ وطَهيْرِ الشُّحِ مُلَتْثِـمِـهْ
لَمْ يَرُعْـــــهِ غيرَ فَجْأته بَارِكاً يَسعى إلى وَقْمِهِ
وازبأرَّ الليـــثُ واعْتَوَرَتْ بالَه الأَوحالُ مِنْ لَمَمِهْ
ثُمَّ أذكَّتْـــــــهُ حَفِيظتُـهُ وأعاد النارَ مِنْ عَزَمِهِ[2]

ويـذكر لنـا محمـد بـن منكلـي فـي كتابـه " أنـس المـلا بـوحش الفـلا "، طريقـة أخـرى لاسـتعمال اللبـاد فـي الـصيد، حيـث يـؤتى بخـشبةٍ ويلـبس عليهـا اللبـاد، ويحفـر بجانبهـا حفـرة يختبـئ بهـا الـصياد (القرمـوس) ويكـون الـصياد قـد اسـتعد وحمـل رمحــه وحينمــا يـرى النمـر اللبــاد يــنقضّ عليــه ويعـضه، فيقـوم الـصياد ويضربه برمحه عدة ضربات فيجهز عليه[3].

5.1.2 الصيد بالكَلبِ السَّلوقي

أفـرد كـشاجم لهـذه الأداة مـن أدوات الـصيد قـسماً خاصــاً فــي كتابــه، فـذكر خصائــصها ومنافعهــا، والأمـــراض التـــي تـــصيبها ودواءهـــا وعلاجهـــا وطريقـــة صـيدها، فأشـار إلــى أن هـذه الكـلاب تنـسبها العـرب كمـا تنـسب الخيـل فقـد قـال

---

[1] المصدر نفسه، ص179.
[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص182.
[3] منكلي، أنس الملا بوحش الفلا، ص113.

مـرزد بـن ضـرار الفقعسي يـذكر عـدة منهـا بأسـمائها وأنـسابها، وقـد ذكرهـا أبـو بكـر الدقيش للشماخ بن ضرار:

سَحامٌ ومقلاءُ القَنِيْصِ وسلهَبُ وجدْلاءُ والسَّرحانُ والمُتَـنـاولُ
بَناتُ سُلوقيينَ كانَّـا حياتُـهُ فَماتا فأَوْدَى شَخصُه فَهو خايلُ
وأيْقَن إذ ماتا بَجوعٍ وخيْبَـةٍ وقالَ لهُ الشيطَّانُ إنَّكَ عائِـلُ
يَطوِّف في أصحابِهِ يَسْتَـيْنهُمُ فَآب وقدْ أَكْدَتْ عَليهِ المَسائِـلُ[1]

ويـراد بكـلاب الـصيد عنـد كـشاجم مـا يغـرِّي علـى الـصيد وهـي نوعـان: سـلوقية وزغاريـة[2]، "والـسلوقية منـسوبة إلـى أرض سـلوق بـاليمن أو إلـى سـلقية فـي بـلاد الـروم، والزغاريـة منـسوبة إلـى (الزغـور) موضـع بـبلاد الـروم، والمـشهور عنـد العرب من هذين النوعين الكلاب السلوقية"[3].

والأمـراض التـي تـصيبها فهـي اربعـة أمـراض أهمهـا (الكَلَـبْ)، "وهـو الجنـون الـذي يـصيبه إذا أكـل لحمـاً سـاماً، أشـار صـاحب البيـزرة، وقـد زعمـت العـرب أن دمـاء الملـوك تـشفي الكلـب مـن هـذا المـرض"[4]، أمـا المـرض الثـاني وهـو (الذَّبحـة)، "فقـد زعمـت العـرب أن أجـود أدويتهـا إذا عرضـت الذبحـة للإنـسان أن ينفخ فـي حلقـه مـن سـحيق مـا جـفّ مـن رجيـع الكلـب"[5]، أمـا المرض الثالـث، فهـو(النُّقْـرس) وهـو يـصيب يـدي الكلـب ورجليـه بـسبب الـضعف وقلـة الطعـام، وعلاجـه أن تلطـخ يـداه وقـدماه بـدهن خـل و زيـت، أمـا المـرض الرابـع، فهـو (الفَلَـج)،

---

[1] الغطفاني، الشماخ بن ضرار، ديوانه، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، ص177.

[2] المصدر نفسه، ص130.

[3] الجاحظ، الحيوان، 313/1،انظر الفاطمي، البيزرة، ص242.

[4] الفاطمي، البيزرة، ص254.

[5] كشاجم، المصايد والمطارد، ص139.

فهو أن يعدو الكلب يوماً ويقصِّر في آخر، وعلاجه أن يطعم كسرة خبز مع صوف شاه معجون بسمن.

أمَّا ما يتعلق بالصيد بها، فهي تصطاد الأرنب بسهولة ما لم يسلك طريقاً جبلياً وعراً، ويصيد الثعلب إذا عمد إلى المجاورة ولم يستتر بجحر ولا غيره، بيد أن الثعلب شديد المراوغة، فهو ربما التفت إلى الكلب وقد أخرج لسانه من شدة العدو فيعض الكلب في لسانه عضة تجعل الكلب يتراجع عن مطاردته، وربما توارى الثعلب عن الكلب في شجرة أو بين الحجارة فيستتر عنه، أما الإيَّل فلا يقدر على صيده من الكلاب إلا الكلب ذو الخلق الشديد أو كلبان مجتمعان معاً، وقد يصيد الكلب الدراج يقول أحدهم:

ومُصْدَّرين بكلِّ مَجْلسٍ حِكْمَـــةً　　مُتَقَدِّمين بكلِّ يــومٍ بِــــرازِ
سَبَقوا إلى غُررِ الفَخَارِ وأحْرَزوا　　خُصْلَ الفَضَائِلِ أيما إحْــرازِ
لا يَسْتَبْيِّنُ مِنْ الطِّرادِ جِيادُهُم　　فَتراهُمُ أبدا على أوفَـــازِ
فَبزْاتُهُم تَصْطَّادُ صَيّدَ كِلابِـــهِم　　وكلابُهم تَصطَّاد صَيّدَ البَّازِي
أَلِفوا الوغَى فَتَعَلَّلوا بِمَصَـــائِـدٍ　　عَنْ شنِّ غَـاراتٍ وبعد مَفــازِ[1]

وقال بعض المحدثين في صيد الكلب للإيّل:

أنعتُ كَلْبَاً للقلـــوبِ مُجْـــذِلا　　آلى إذا أُمْسَكَ ألّا يَقَتُـــــلا
مؤمِّلاً لأهلِــــــهِ مُمَــــــوِّلا　　يزيدُ ذَا الوَفْرِ ويُغْنِي المُرْمِــلا
ذا هِمّةٍ في الصَيدِ في أعلا العُلا　　يَسْتَصْغِرُ الظَّبيَ فيبغي الأيّلا
ولا تجدُّ الأيّلُ مِنْــهُ مُؤمَّـــلاً　　تخالُــــهُ مِنْ خَوْفِهِ مُعْقَّـــلا
يَعُولُ مِنْ كـــانَ عليه عوّلا[2]

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 142.

[2] المصدر نفسه، ص142.

6.1.2 الصيد بالصقور

أظهرت الحضارات القديمة التي وجدت في مناطق مختلفة من العالم اهتماماً خاصاً بالطيور الجارحة، حيث وصل بعضها منزلة القداسة فتضاهي منزلة الإله، فعند بعض الأمم (اعتقاد بأن الصقور هي رسل من الله ويعامل معاملة الإله، ويطلب منه المعونة، وعند بعضها كانوا يصنعون لها تماثيل، ويصنعون من عظامها سهاماً كي تذهب للهدف بسرعة، فقد ظهرت رسوماتها في الكثير من آثار الأمم كالفراعنة والأشوريون والأنباط؛ لأنها كانت تدل على القوة والعظمة)[1].

أمّا العرب فمنذُ الجاهلية اشتهروا بحبهم للصيد واستخدام الصقور، (وأقدم الصقارين المعروفين هو الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة، كما أن حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام كان صاحب صقور يصيد بها)[2]، وفي زمن الرسول عليه الصلاة والسلام كان زيد الخير وعدي بن حاتم من الصيادين المعروفين في استخدامهم الصقور، وقد سألا النبي عن التحليل والتحريم في الصيد، فقالا:(إنا نصيد بالكلاب والبزاة، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها)[3]، فنزل قول الله تعالى في كتابه العزيز (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[4].

---

[1] الخفاجي، الصيد بالطيور الجارحة، ص92.

[2] الباشا، الصيد عند العرب أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص18.

[4] سورة المائدة، آية 6.

ونجد أن كشاجم قد أفرد فصلاً كاملاً للصيد بالجوارح فقد تحدث عن أنواعها وأمراضها وطرق الاهتمام بها ووضع منهجا للتفريق بين أنواع الصقور وطريقة تعليمها، ومن أشهر أنواع الصقور لديه البازي، فهو من أفضل الجوارح صيداً، وأعلاها كعباً وأغلاها ثمناً، وبه يضرب المثل في نهاية الشرف لدى كشاجم.

ومن خواصه كما يشير كشاجم أنه لا يكون إلا منفرداً غير مشاكل الطيور المتألفة معه، ومن فضيلة البازي أنهم قالوا: أحسن صور ثلاث اجتمعت، منها باز على يد رجل على ظهر فرس، والمحمود من صفاته صغر الرأس وغلظ العنق وسعة العينين ودائرتي الأذنين والشدقين، ومن هنا مثل أنه يستحب كل سبع، والمختار منها الأحمر والأكثر سواداً الغليظ أخطط الصدر، والأشهب الشديد الشهبة، الشبيهة بالأبيض[1]، وفي هذا النوع من الصقور تفاخرت العرب به وهذا ما اتضح لي في إيراد كشاجم القصص في البازي، فالقصة في كتابه جاءت بمثابة التشويق والتأكيد في آرائه والثقافة الواسعة لديه، فلم يذكر طائراً أو حيواناً أو واقعة صيد، إلا أفرد لها قصة فزادت من بهاء كتابه، وفي هذا قال بعض التميميين لرجل من سروات نمير: ما أحسن صيد البازي ؟ فقال النميري: لا سيما إذا كان يصيد القطاة فتهاجيا في لحن القول وأراد التميمي فقال:

أنَا البَازيُّ المُدَلُّ عَلى تَمِيْمٍ اتحتْ مِنْ السَّماءِ لَهُ انْصِبَابا[2]

وقال رؤبة يصف تعاليه وتسفله:

جلى بصيرَ العيْنِ لمْ يُكلَّل فانْقَضَّ يَهْوى مِنْ بَعيدِ المُحْتَلِ
لأماً كَجلمودِ المُداكِ الأَعْزَلِ إن طِرْنَ ساماهُنَّ عالٍ مِنْ عَلِي

---

[1] انظر، الخفاجي، الصيد بالطيور الجارحة، ص38.

[2] التميمي، جرير، ديوانه، تحقيق: محمد نعمان أمين طه، دار المعارف، مصر،1969، ص64.

وإن تَطأطأنَ انْحَنَى للأسفلِ[1]

7.1.2 الصيد بالنُّشاب

استخدم العرب هذه الأداة منذ القدم، فقد أشار كشاجم إلى أن أجود النُّشاب (الحُديجيّ)، وهو أصميّ، وأنفذه وأجوده ما كان ليّن الريش، فإن خيف على الريش مطر جعل عليه خيط)[2]، فقد أشار أيضا إلى الأوتار الجلدية وطريقة صنعها والاحتياط بوضع وترين معه عند الصيد، فإذا اصطاد وكان الزمان صيفاً جعل الأوتار في مكان بارد، وإن اصطاد في زمان باردٍ جعلها في مكان دافئ، وأشار أيضاً إلى طريقة استخدام القوس والرمي في الليل، فجعل له منهجا يُقتدى به، فقال: (اجعل عينك مع يسارك ويدك على منكبك والوتر على أذنك فما حاذاك من شيء فارمه على تلقائك)، وقد رمى بعض العرب ظبياً وهو يحكُّ أذنه بظلفه فقال بعض الأدباء:

لَمْ أرَ كاليــــومِ ولا كَحُسْنِــهِ	قانِص ظبـــيٍّ راعَهُ في أمْنِهِ
عَنَّ لَنَا في السَّهلِ أو في حَزْنِهِ	يَحكُّ بالظِّلــــفِ طَرَيفَ أُذْنِـهِ
وظلَّ يَرْميهِ ولَـــــمْ يَهُنُّـــهُ	بواحدَ أغْنَى فَلَــــــمْ يُثنِّـــهِ

يَضُمُّ بَيّنَ ظِلفهِ وقِرنهِ[3]

أمَّا صيد الأسد بالنُّشاب، فقد حثّ كشاجم على رميه والصائد على ظهر دابة وأن يستطرد له فارسا آخر حتى يتبعه، وهو منه غير قريب، ويشغله إذا خاف دنوَّه بأن يلقي إليه شيئاً من آلته، كالقلنسوة والعمامة أو كبة شعر إن

---

[1] كشاجم،المصايد والمطارد، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص62.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص164.

حضرته، ثم يأتي الفارس الثاني فيرميه بالنُّشاب مستديراً فيؤلمه شيئا بعد شيء فيثخن ويفُلَّ من عزمه ثم يثبته.

8.1.2 الصيد بالقوس

لعل أقدم وسائل الصيد وجوداً هي القوس، وزَعَمَ أن جبريل علية السلام جاء بها لآدم وعلَّمه كيف يرمي بها، ثم توارثها أولاده من بعده إلى زمن نوح وقيل (إن أول من عمل القوس العربية إبراهيم عليه السلام حيث صنع لإسماعيل قوساً ولإسحاق قوساً وعلمهما الرمي فكانا يرميان بها)[1].

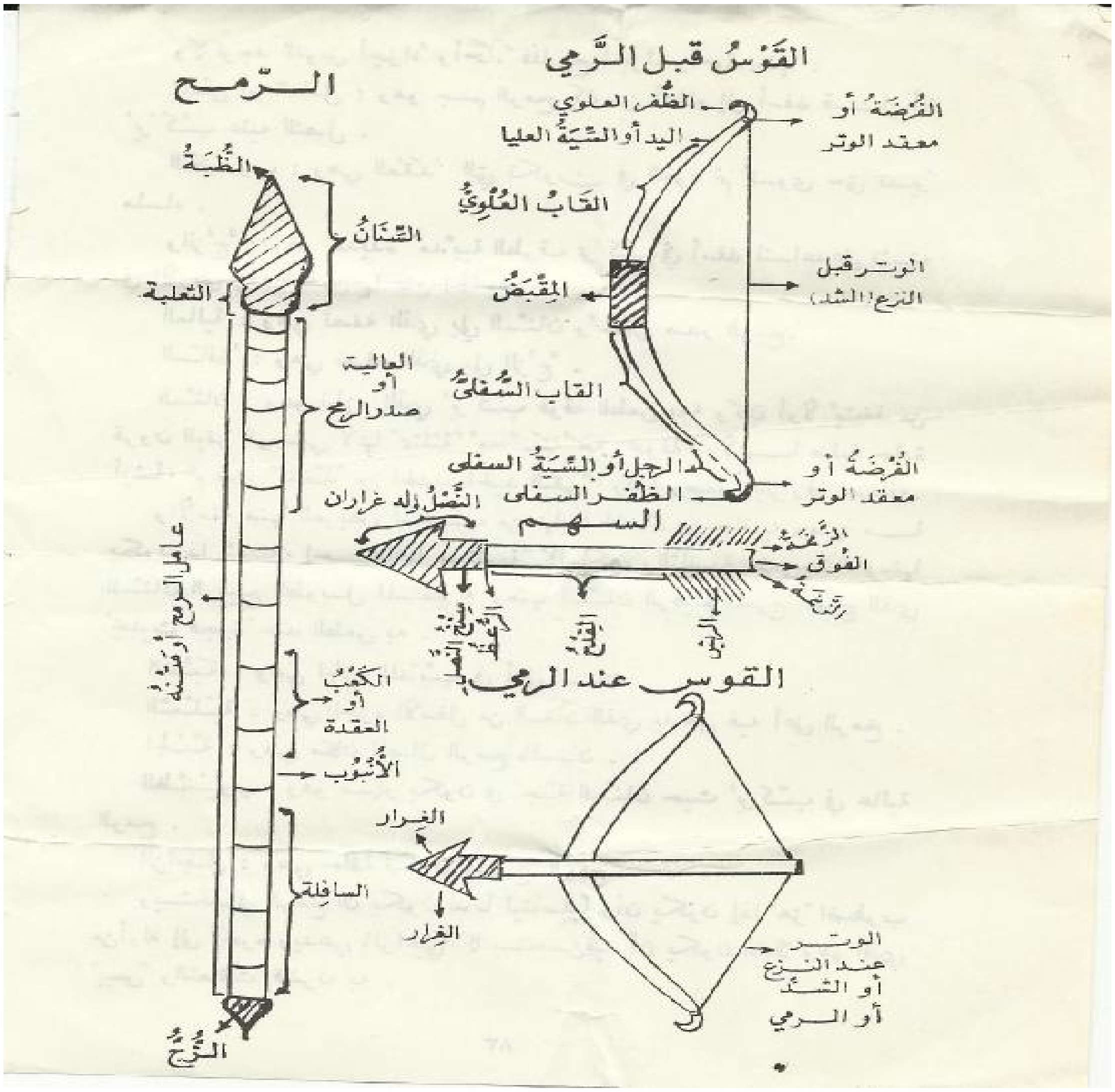
9.1.2 النُّبْل

من أدوات الصيد قديماً وجمعه أرماح و رماح ويقال: القناة أيضاً والجمع قنوات وقناً وقنيّ، ويدعى الطاعن بالرُّمِح: الطَّاعِن[2]، وهو سلاح عريق في القدم شاع استعماله عند الشعوب القديمة، وبخاصة عند أولئك الذين كانوا يسكنون الصحراء، وفيما يلي الرسم التوضيحي للقوس قبل الرمي وبعد الرمي وأجزاءه:

---

[1] النويري، نهاية الأرب، الواضح في علم الرمي،299/6

[2] إبن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل، المخصص في اللغة، المكتب التجاري، بيروت (د.ت)، ج6/ص30



2.2 وسائل أخرى للصيد

فقـد بـين كـشاجم العديـد مـن وسـائل الـصيد المتنوعـة يبلـغ بهـا الـصياد طريدة، ومن هذه الوسائل:

1.2.2 الصيد بالاستذراء بالناقة:

وهـو أن يتخـذ ناقـة يـسمونها الدريّـة وقـد يـدربها الـصياد أيامـاً طويلـةً لتقـوم بهـذا العمـل، ويتوغلـون بهـا فـي المرعـى، حتـى تكثـر الظبـاء النظـر إليهـا ويخفـي

صاحبها شخصه، ويكمن ويستتر، ويأتي متخفياً يمشي إلى جنبها، حتى إذا دنا الظبي ينقضّ عليه أو يرميه عن كثب، ويورد بيتين لأبي الطمحان قال فيهما:

حَنَتْني حانياتُ الدَّهر حتّى كَأنّي قانِصٌ أدْنو لِصَيدِ
قَريبُ الخطِو يَحْسَبُ مِنْ يَرانِي ولَستُ مُقيَّداً أمْشِي بِقَيدِ[1]

2.2.2 الاستدلال على آثارها

أما الظباء فقد أشار كشاجم إلى طريقة صيدها، فصاد عن طريق الاستدلال بها على آثارها في الرمل، وبأبعارها فيما سوى ذلك من الصلابة، ومما يساعد الصيادين في ذلك هو أن ظلفها شديدُ الأثر بما تطأ عليه يقول الشاعر:

كأنَّ مِنْها عِنْد لَمْسِ اللّامِسِ وطأةُ ظَبْيٍّ في مَكانِ يابسٍ[2]

ويشير كشاجم الى أن العرب كانت تستدل على صيد كل أرضٍ بشكلها وموقعها من السهل والصفاء والانخفاض والارتفاع والآثار والأبعار، وكذلك يقال لكل خُفٍّ وظلفٍ غير البقر، فأمّا بعر الغزال، فيستدل عليه برائحته ولطفه وتدويره وكأنه علم كشف الأثر يقول ذو الرمة:-

تَرى بَعَرَ الغُزْلانِ فيهِ وفوقَهُ حَدِيثاً وعامِياً كحَبِّ القُرُنْفُلِ[3]

واستدل الصيادون على الظبي الكبير بنباحه، فإذا أسنَّ نبحَ يقول الشاعر:

وينبَحُ بَيْنَ الشِّعبِ نَبْحَاً تَخالُهُ كلابَ سلوقٍ أَبْصَرَتْ ما يَرْيبها
وبيّضَهُ الهُزْلُ المسوّدُ غيرَه كما ابيضَ عَنْ حِمْضِ المراضينَ نيبُها[4]

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص207/208.

[2] المصدر نفسه، ص206.

[3] المصدر نفسه، ص208.

[4] كشاجم، المصايد والمطارد، ص206.

أمـا النـسر فكانـت العـرب تـصطاده بـالجِيَفْ توضـع لـه الجيفـة، ويـأتي عليهـا ويكـون بـالقرب منهـا شـبكة تُلقـى عليـه إذا اقتـرب مـن الجيفـة، ومـن غرائـب طبعـه أنـه إذا اشـتم الطيـب مـات مـن سـاعته، وإذا خافـت أنثـاه علـى بيـضها مـن الخفافيش بسطت تحتها ورق الدُّلب.

3.2.2 الكمائن

ومـن طـرق الـصيّد التـي اسـتخدمها العـرب كمـا يـشير كـشاجم الـصيد بالكمـائن، وهـو أن يختبـئ الـصياد فـي حفـرة بـالقرب مـن عيـون المـاء، وبعـد أن يقتـرب منـه الظبـي إمّـا أن يـضربه بالنّبـال، أو إذا كـان شـديد الجـري يطـرده جريـاً ويلقـي القـبض عليـه، وهكـذا صـيد الخنزيـر وغيـره مـن الحيوانـات، وينبغـي أن يثبـت العنان ويراعيه، لئلا يكبو الفرس وقال
بعض المحدثين واصفاً المعتضد بالله أسدا:

يا صَائِدَ الأُسْـــدِ إنَّ صيْدَكُما	لَجامِعٌ خِلَّتينِ مِـــنْ رُشْـــدِ
فلّذةٌ تُجتــــــــثي ومنفعـــةٌ	للسالِكِيْن السبـــيلَ والعُقــدِ
وأيُّ شـــــــيءٍ أجلُّ مَنْفَعَــةً	مِنْ أسَدٍ قاسطٍ عَلى أسَـــــدِ
وأيُّ لــصٍّ أجـــــــــلَّ مَرزأةً	مِنْ مُتْلِفِ الرّوحِ مُتْلِف الجَسَدِ[1]

3.2 فوائد الصيد

يقـول الله تعـالى فـي كتابـه العزيـز: "قُـلْ أُحِـلَّ لَكُـمُ الطَّيِّبَـاتُ"[2]، وقـال الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم: " يحـل لهـم الطيبـات ويحـرم علـيهم الخبائـث "[3]، فالخبائـث

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص173.
[2] سورة المائدة، آية 4.
[3] سورة المائدة، آية 4، وسورة الاعراف، آية 157.

فالخبائث هي ما خبث مما كانوا يأكلونه ولم يحرم عليهم في حال إحرامهم إلا ما حل لهم في حال الإحلال، فلمّا أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بقتل الغراب والحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، دل ذلك على أن هذه محرمة، ودل ذلك أن العرب لم تكن تأكل مما أباح الرسول عليه الصلاة والسلام قتله في الإحرام شيئاً)[1].

ونهى عليه السلام من أكل كل ذي ناب من السباع وأحل الضبع ولها ناب، وكانت العرب تأكلها وتدع الأسد والنمر والذئب تحريماً له باستقزاز، وكل ما عدا على الناس بنابه حرام، وما لم يعد بنابه فليس بحرام، فالضبع والثعلب وما أشبهه حلال، وترك أكل البازي والنسر والصقر إذ هي مما تعدو على حمام الناس وطيرهم، وكانت العرب لا تأكل الحشرات وذلك من معنى الخبائث وخارج من الطيبات أما في فصل لحم الصيد فقد تعرض له كشاجم وعدّه من أطيب الأطعمة وأشهاها فقد عرض

عدّة قصائد تؤيد كلامه منها قول امرئ القيس في الثناء على طعام الصيد:-

مُطْعِمٌ للصَّيـــدِ لَيّــــسَ لَهُ   غيْرَه كَســـبٌ عَلــى كِبِــره[2]

وقول آخر:

نِعْمَتِي نِعْمَةُ اكْتِســابٍ ولكِــنْ   أنْتَ في فَضْلٍ نِعْمَةِ الميــراثِ

وطَعامِيَ صَيْــدِي وَطُعْمُكَ سؤرٌ   هلْ كَطُعْمِ البِزاةِ طُعْمُ البغــاثِ[3]

ولقد كانت العرب منذ القدم أمة مبتدئة تعيش في الجزيرة العربية وخارجها حياة الفقر، وكانت من طبيعتها إذا أحست بالفقر اعتمدت على الصيد، فاتخذوا من الحيوان مادة حياتهم الأولى، فيقتات بلحمه إذا عضّهم الجوع، ويتخذ من

---

[1] الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، تحقيق التركي، دار عالم الكتب،1427هـ، مجلد 2، ص 189.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص10.

أوباره غطاءً وكساءً، ويجعل من جلوده بساطاً وسقاءً، ومن هنا نجد أن الفقراء لم يميزوا بين المُحلَّل والمحرَّم من الحيوانات، فأكلوا النمور والفهود والثعالب ومعظم الحيوانات البرية، لكنهم وجدوا فيها المنفعة والشفاء من العديد من الأمراض والعلل، ومن هنا تراكمت الخبرة لديهم في الوصول الى علاج كثير من الأمراض من لحمها وأعضائها حتى وصلت الى وقتنا هذا، ومن الحيوانات التي وجد العرب الكثير من المنافع:

أ.الثعلب:

هو الثعلب والرَملة أنثاه والهِجْرِس ولده، ومن فضائله تشبيههم مشية الخيل بمشية التي يقال له الثعلبيّة قال المرار:

صفةُ الثعلبِ أدنى جريهِ وإذا يَرْكُضُ يَعْفُورُ أشِرْ[1]

والروغان والتماري سلاحه، فإنه أنتن وألزج وأكثر من الحباري، فقد وصفه أعرابي يقول:

للهِ دَرُّ أبي الحُصينِ لَقَدْ بَدَتْ مِنْهُ مَكَائِدُ حَولِى قُلّبِ
وردَ الحَبَائِلَ في صورِ نَحوةٍ طمعاً لِتَعلُقه ولمَّا يَنْشَبِ
حَتَّى إذا شَمِلَتْ مَعاطِفَ طَرْفِهِ اثْنَاءِها بتَأمُّلٍ وتَأدُّبِ
ويَدَاهُ واسِطتانٌ لما تنكصا أو تَقَدما لورودِ عَزْمِ المَنْكِبِ[2]

ب. بقر الوحش:

قالت العرب: إن أول من طردها على الخيل وأول من ركب الخيل ربيعة بن نزار، ولما ركب الفرس راكض عليه بقرة وحشية فلجأت منه إلى سدرة برية، فاستترت بها فرَقَّ لها ورحمها ورجع عنها وتركها، ثم قال:

أتَتْ ضّالةٌ في رَمْلٍ حومَلٍ فابْتَلَتْ بِها مُتَهاكِي لا تُحاذِرْ ديَبا[1]

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص149.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص150.

وفـي لحمهـا يقـول كـشاجم بأنـه: غلـيظ يولـد دمـاً قريبـاً مـن الـسواد، وبطنهـا مـن أطيـب مـا فيهـا، ويطـبخ بالحـل حتـى يقْـرُب مـن النـضج ثـم يـصب عليـه الخـل، ويجـدد لـه خـل ثـانٍ، ودمهـا أسـرع إلـى الجمـود مـن دم سـائر الحيـوان، وهـو غلـيظ أسـود وموضـعها فـي الـسهول والوهـدات، ومـا اسـتوى مـن الأرض ودنـا مـن مـاء وعـشب ولـيس ممـا يـسكن صـلاب، وقـد عيـب علـى محمـد بـن عبـدالملك الزيـات الكاتـب فـي مـا وصـف ثـور ذكـر أنـه يرعـى فـي الجبـل ولـيس ذلـك مـن شـأنه وهـو قوله في تشبيهه ناقة:

كَأنّها حيْنَ تُنَاهِي خُطُوطَـــــها   أخْنَسَ موشِي الوَشِي يَرْعَى الفُللْ[2]

أمّـا فائـدة لحمـه وأعـضائه كمـا يـشير كـشاجم، فـإن اخـذ مـن شـحمه وخلـط بزيـت فـاتق ودهـن بـه رجـلا مـصاب بـالنقرس بـرى منـه، فهـو كـريم الـوبر ولا شـيء مـن الـوبر أغلـى مـن الثعلـب الأسـود، ولحمـه غـثّ لا يـرى منـه سـمين الزفـر، ومرارتـه بالوشـق ومـاء الكَـرْفَس أجـزاء متـساوية يـسعط مـن ذلـك مـن بـدأ بـه الجـذام فـي كـل عـشرة أيـام مـرة، فينتفـع بـه ويغلـي فـي زيـت حيـاً ويـستعمل دهنـه مـن بـه وجع المفاصل.

ج. الأرنب:

فيـشير كـشاجم فـي كتابـه إلـى خصائـصه وفوائـد لحمـه، فـذكر الأرنـب الخـزز والأنثى العكرشة، وولدها الخرنق قال الشاعر:-

قَبْضُ العِقَابِ عَلى فُؤادِ الخِرْنَقِ[3]

فهـي لا تنـام إلا مفتوحـة العـين، فربمـا جـاء القـانص حتـى يأخـذها مـن تلقـاء وجهها فإنهـا لا تبـصر وإن كانـت عينهـا مفتوحـة، أمـا منافعهـا أنفحـة الأرنـب إذا

---

[1] المصدر نفسه، ص16.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص151.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 146.

شـربت مـع عـصارة الـسلق وسـذاب بـري، إذا أخـذت المـرأة أنفحـة الأرنـب حبلـت ومخهـا ودماغهـا يمنـع الـشعر المنتـوف مـن النُّبـات، وبعرهـا يـداف بالخـل وتطلـى بـه القويـاء فيـذهبها ومرارتهـا تـداف بالـشراب فينـوَّم مـن يـسقى بـه، أمّـا فائـدة لحمهـا فهـو(أجـف لحـوم الحيوانـات البريـة)[1]، وإن طُلـي بـدمها الكلـف أذهبـه وإن طُحِـن وشـوي فـي جـوف فـرن وأُكِـلَ نفـع مـن القرحـة التـي فـي الأمعـاء، ويحـرق رأسـها فيكـون منـه سـفوف مـصلح للإنـسان)[2]، ووبـر الأرنـب ينفـع بـه فـي سـدّ فـم الـشر كـان إذ قطـع، وقـد كانـت الأعـراب الجهلـة تعلـق كعبهـا علـى صـبيانهم اسـتبعاداً للعـين[3]، وهـذا مـا أشـار إليـه الجـاحظ مـن "علـق كعـب أرنـب لـم تـصبه عـين ولا سحر، لأن الجن تهرب من مكان حيفها"[4].

د. ابن عرس:

فقد أشـار كـشاجم إلـى هـذا الحيـوان فهـو داخـل فـي جملـة الجـوارح والـصيد لـه سـائغ، ويـصيد الثعلـب صـيداً مليحـاً يـدخل إليـه مـشدوداً فـي عنقـه حبـل ثـم يجـذب فيخرجـه معـه مـن وكـره، ولحمـه يبـرئ مـن الـصرع فـي رؤوس الأهلـة، ويقـال إنـه مـن أشـد الحيوانـات تـسلطاً علـى الحيـة، فـإذا التـوت عليـه أخـذ بـذلك واشـتد نحـو النار فاحترقا

جميعاً، وقال في صيده للثعلب:

لو أنَّ حِيّـــــاً واثِقَاً لعُمْـــــرِهِ	أو عائِـــذاً مِنْ نَكْبَاتِ دَهْـــرِهِ
بِمَقْصِلٍ يُحَصِّـــــنُهُ مِنْ عــذرِهِ	أفْلتَ مِنْ خَـــتلِ الرَّدَى وخَتْرِهِ
أبو الحُصَّينِ كامِـــناً في جحرِهِ	مُـقَدْراً في ظَــــــنِّهِ وفِكْـــرِهِ

[1] المصدر نفسه، ص 16.

[2] المصدر نفسه، ص148.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص148.

[4] الجاحظ، الحيوان21/1.

إنَّ الوَجارِ ضامِــــنُ لِنـصْرِهِ   وحــفِظهِ مِــنْ قانِـصٍ وَسَتْــرِهِ[1]

هـ. حمار الوحش:

هـو العيـر والمـسحل والجـأب والفـرا، قـال النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم:(كـل الـصيد فـي جـوف الفـرا)[2]، والأنثـى أتـان وولـدها التولـب، وقـد اسـتطيب الكثيـر مـن العـرب لحمـه وجلـده، فوجـدوا فيـه طعمـاً أشـهى مـن صـدور الـدراج، وشـحمه نـافع مـن الكلف إذا طلي به، ومن وجع الظهر والكليتين العارض من البلغم والرياح الغليظة.

وقـد كانـت العـرب تعتقـد أنـه إذا حـرق حـافره وسُـحق واكتحـل بـه أحـد البـصر ونفـع مـن الغـشاوة ودفـع أوجـاع العـين، وزبلـه مخلـوط بمـح البـيض يطلـى بـه الجبـين فيحـبس الرعـاف، وقـد زعمـت العـرب أيـضاً أنـه يتخـذ مـن حـافره خـاتم فتعلـق علـى المجنـون فـي رأس كـل شـهر فيبـرأ مـن الـصدع، ودماغـه يُـداف بمـاءِ الكَـرفَس[3]، والعـسل ويغلـى ويـسقى مـن بـه وجـع الـسل فـي الحمـام بمـاء حـار علـى الريـق فيبـرأ، يقول كشاجم في صيده:

لمَّا بَدا الصُبْحُ فَقِيلَ أسْفَــرا   وقُــوِّضَ اللَّيلُ فَقِيل شمَّــرا
وأذْكَتْ الرِّيحُ نسيْماً عِطْــرَاً   كَأنَّــــمَا يُؤخَذُ مِنْــهُ عَنْبَـرا
غَدَتْ بنا جَرْدٌ طَوْينَ ضُمَّرا   مَكْسُوةٌ مِنْ الشِّياتِ حَــبِــرا
أبلقَها وَحْزَنَــــها والأشْقَــــرَا   حتى إذا العَانَةُ عَنَّت سَطْرَا
مَنْ أحْسَنَ الوِرْدَ أجادَ الصَّدْرَا   فَكَمْ رَأيتُ مِسحلاً معفَّـــــرا[4]

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص227/انظر، معلوف، أمين، معجم الحيوان، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، 1985، ص98.

[2] المصدر نفسه، ص157.

[3] الكَرْفَس، نبته وتعد من الخضروات تفيد في إنقاص الوزن. انظر، ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، دار صادر لطباعة والنشر، مجلد2، ص426.

[4] كشاجم، المصايد والمطارد، ص158.

الفصل الثالث

دراسة في طبائع الحيوانات

1.3 طبائع الحيوانات عند كشاجم:

أ. الكلب:



حيوان شديد الرياضة، كثير الوفاء، ليس بهيمةً ولا سَبُعاً بل بينهما فلو كان سَبُعاً لما ألفه الناس، ولو كان بهيمة لما أَكل لحم الحيوان[1].

والكلَّاب: صاحب الكلب، والمُكلِّب: الذي يعلم الكَلْبَ الصيد[2]، وقد كان للكلب عامةً، وللسلوقي خاصة شأنٌ كبير عند العرب، فكانوا ينسبون الكلاب كما ينسبون عِتاق الخيل[3]، ومن ذلك كلب "جدعان" وهو السَّلْهب بن البُراق بن وَثَّاب بن مظفر بن مُحارش[4]، وكانوا يُسمَّون بها على التفاؤل لما اتَّسمت به

---

1 الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، مطبعة الإستقامة، مصر، 1372هـ، ج 251/2.

2 انظر ابن منظور، لسان العرب(كَلَبَ)، المخصص، 79/8.

3 انظر، القلقشندي، أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، مصر،1914،ج 40/2.

4 كشاجم، المصايد والمطارد، ص13.

من كريم الصفات كالحراسة واليقظة وبُعْد الصوت والكسب على أصحابها وغير ذلك[1].

والعرب ينتقون من أسمائها أسماءً لأنفسهم؛ في موضع النباهة، وعلوّ الشأن، ومن ذلك كُليب بن ربيعة، "وهو كليب وائل" وقد ضُرب به المثل فقيل "أعزُّ من كُليب وائل" وكانت ربيعةُ إذا انتجعت معه لم توقدِ النَّار، ولم تحوِّض حوضاً، وكان يحمي الكلأ، ولا يُتكلَّمُ عنده إلا خفضاً[2].

أمّا إناث الكلاب فهي أسرع تعلماً من الذكور، وهي أطول أعماراً وتعيش عشرين سنة، وليس كذلك من الكلاب غيرُها وأكثر ما تضع ثمانية أُجَرٍ، وربما وضعت واحداً فقط، وحملها ستون يوماً، وإذا وضعت الجرو كان أعمى اثني عشر يوماً ومنه قوله[3]:

كمثل جرو الكلب لم يُفْقَحِ[4]   أقبحْ به من ولدٍ وأشقح!

والأُنثى تحيض في كلِّ أسبوع، وعلامة ذلك ورم ثفرها، ولا تقبل السِّفاد في حيضها، ويعتريها هُزال عند وضعها، ويظهر لبنها بعد حملها بثلاثين يوماً، ويكون أوَّلُ ما تضع غليظاً، والأُنثى تبول مُقعبة، ومنها ما يشغر، والشغور رفع الرجل للبول، ويقال قزح ببوله وشغر، والأُنثى تكون أول نتاجها أصغر جُثّةً من الذكر.

فالكلاب استحقت مكاناً رفيعاً عند العرب؛ لما امتازت به من طبائع انفردت بها عن غيرها من الحيوانات؛ فالكلب يحرس صاحبه ويحميه شاهداً

---

[1] انظر، الجاحظ، عمرو بن عثمان، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، منشورات محمد الداية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1388هـ -1969م، ج17/2.

[2] الجاحظ، كتاب الحيوان، 313/1.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص132.

[4] فَقَحَ الجرو: أوّل ما يفتح عينيه. أقْبِحْ: يقال: قُبحاً وشقُحاً على الإتباع.

وغائبــاً وذاكــراً وغــافلاً ونائمــاً ويقظــان ولا يُقــصر عــن ذلــك وإن جفــوه ولا يخــذلهم وإن خذلوه[1].

ويقــال إنَّ الكلــب أيقــظ الحيوانــات لــيلاً، فــي وقــت حاجــة أصــحابه إلــى النــوم، وأنــوم الحيوانــات نهــاراً عنــد اســتغنائهم عــن حراســته، ثــم إذا نــام فهــو لا ينــام إلا غراراً، وهـو فـي أَشدِّ حـالات نومـه يفـتح عينـه بقـدر مـا يكفيـه للحراسـة، ويكـون مـع ذلــك أســمع مــن فــرسٍ، وأحــذر مــن عَقْعــق[2] "، وهــو حيــوان قليــل الــشهامة شــديد الــصبر علـــى الجفـــوة، واحتمـــال الجراحـــات الـــشداد وجوائـــف الطِّعـــان[3]، ونوافــذ الـسهام، وإذا أصـابته ذلـك لـم يـزل ينظّفـه بريقـه؛ لمعرفتـه بـأن ذلـك دواؤه حتـى يبـرأ، فـلا يحتـاج الـى طبيـب ولا مـرهم ولا عـلاج[4]، ويكـرم أهـل الوجاهـة فـلا ينـبح أحـداً مـنهم[5]، ويرمـي بنفـسه بـين يـدي الـضبع، إذا مـشت علـى ظلِّـه فـي ليلـةٍ مُقْمـره فتأكلـه، وإذا اظفـر بكلـب غريـب كـاد يفترسـه.وكمـا أن للكلـب أسـماءً كثيـرةً منهـا: المُختلس، وغَلَّاب، والقَنِيص، وسلهب، والمُتعاطِس[6].

ومـن خصائـصه أنَّ رأسـه كلَّـهُ مـن عَظْـمٍ واحـدٍ، والكلـب يعـرف طبـاع الظبـاء ذكورهـا وإناثهـا؛ فـإذا شـاهد الظبـاء بعيـدة كانـت أو قريبـة عَـرَف المُعتـل منهـا مـن غيـره، وعـرف العنـز مـن التـيس، وإن عَلِمَ التـيس أشـد حـذراً وأبعـدَ وثبـاً، ويـدع العنـز

---

[1] انظر الجاحظ، الحيوان، 171/2، انظر، النويري، نهاية الأرب، ج254/9.

[2] انظر ابن منظور، لسان العرب، عَقْعَقَ الطائر بصوته جاء وذهب والعَقْعَقْ: طائر معروف من ذلك وصوته العقعقة قال ابن بري: وروى ثعلب عن إسحق الموصلي أن العقعق يقال له الشجى وفي حديث النخعي يقتل المحرم العقعق قال ابن الأثير: هو طائر معروف ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب قال: وإنما أجاز قتله لأنه نوع من الغربان.

[3] الطعنة الجائفة:هي التي تبلغ الجوف.

[4] الباشا، الصيد عند العرب، ص148.

[5] الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 251/2.

[6] الفاطمي، البيزرة، ص141.

وهـو يـرى مـا فيهـا مـن نقـصان حافرهـا وقـصر خطوهـا، ولكنـه يعلـم أنَّ التـيس إذا عـدا شـوطاً أو شـوطين حَقِـبَ[1] ببولـه، وكـل حيـوان يعـرض لـه مـع شـدة الفـزع، إمّـا سـلس البـول أو التقطيـر أو الأسـر والحَقِـب، وإذا التـيس لـم يـستطع البـول مـع شـدة الحـصر، وضـع القـوائم ورفعهـا معـاً فيثقـل عـدوه ويقـصر مـدى خطـاه ويعتريـه البَهر حتى يلحقه الكلب[2].

ومـن سـمات الكلـب الخَلْقيـة أنـه أشـد الحيوانـات فكّـاً، وارهفهـا نابـاً، وأطيبهـا فمـاً، وأكثرهـا ريقـاً، يـرى العظـم الـصلب، فـيعلم بـالغريزة أنـه إذا عـضَّه رضّـه، وإن بلعـه اسـتمرأ[3]، وزيـادة علـى ذلـك، فالكلـب أسـبحُ حيـوان علـى وجـه الأرض؛ لـذا قيـل فيه أنه "أسبح من حيّةٍ".

وللكلـب خاصـية يمتـاز بهـا، هـي قدرتـه علـى تعيـين موقـع جحـر الأرنـب فـي يـومٍ ثلجـي، كمـا يـذكر الجـاحظ، ذلـك حـين يخرجـه صـاحبه الـى الـصيد فـي يـوم الجليـد والـثلج وهمـا متراكمـان علـى الأرض حتـى لا يثبـت عليـه قـدم، ولا خـف ولا حـافر ولا ظلـف، فيمـضي الكـلَّاب، ولا يـدري ايـن موقـع جحـر الأرنـب مـن جميـع بـسط الأرض، ولا موضـع كِنـاس ظبـيٍ، ولا غيـر ذلـك مـن مـوالج وحـوش الأرض، فيلتفـت الكلـب بـين يديـه وخلفـه وعـن يمينـه وعـن شـماله، ويتـشمَّمُ ويتـصبَّر حتـى يقـف علـى أفـواه تلـك الجحـرة، فيثيـر مـا فيهـا، وذلـك أن الأنفـاس المتـسكنهة فيهـا وبُخـار أجوافهـا وأبـدانها ومـا يخـرج مـن الحـرارة المتـسكنة فـي عمـق الارض، ممـا يـذيب مـا لاقاهـا مـن فـم الجحـر مـن الـثلج حتـى يعـرف ذلـك خفيـاً غامـضاً لا يقـع عليه قانص ولا راعٍ ولا فلّاح[4].

---

[1] حَقَبَ: تعسر عليه البول: ابن منظور، لسان العرب، مادة(حَقَبَ).

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص133.

[3] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص145.

[4] كشاجم، المصايد والمطارد، ص134.

وهناك أعجوبة في طباع أرحام الكلاب، أنها تلقح من حيوانات غير الكلاب، كالذئب ونحوه، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان، فتؤدي شبه ما لُقحت منه[1]، وقد كانت للزهري[2]، كلبةُ صيد، فكان يطلب لها الفحول يتلمس نسلها.

وللكلب دهاء ونجابة، أما من دهائه، فلا يخفي عليه في تشممه الميْت من المتماوت، ويقال: إنَّ المجوس لا يدفنون ميتاً منهم حتى يدنوا منه كلباً، فيشمه ويظهر منه في تشممه إياه علامة سيستدلون بها على حياته أو موته[3]، وكذلك لا تجوز عليه حيلة الثعلب في التماوت، ولا يفعل ذلك أيضاً الثعلب معه، ويفعله مع الغراب وغيره فيتماوت له، وينفخ بطنه حتى يدنو منه فيقبض عليه[4].

وإما من نجابته، فالطول ما بين يديه و رجليه، ويكون قصير الظهر عريض، صغير الرأس، طويل العنق غليظها أغضَف الأُذنين[5]، مفرط الغضف أزرق العين، طويل المقلتين [6]نامئ الحدقة[7]، طويل الخطم[8]، واسع الشدقين،

---

[1] الجاحظ، الحيوان،180/2.

[2] انظر، الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15،ج7،ص97، الزهري (58 - 124 هـ 678 - 742 م) محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة، وكان يحفظ ألفين ومئتي حديث، نصفها مسند.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص134.

[4] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص87.

[5] الأغضف: المسترخي الأذنين، ابن منظور، لسان العرب مادة(غَضَفَ).

[6] المقلتين: شحمة العين التي تجمع البياض بالسواد، ابن منظور، لسان العرب مادة (مَقَلَ).

[7] الحدقة: سواد العين، ابن منظور، لسان العرب مادة(حَدَقَ).

[8] الخطم: مقدم الفم والأنف، ابن منظور، لسان العرب مادة (خَطَمَ).

بـارز الجبهـة عريـضها، قـصير اليـدين، طويـل الـرجلين[1]، ومـن إمـارات النجابـة عنـده أن يكـون تحـت حنكـه طاقـة شـعر واحـدة غليظـة، وكـذلك الـشعر الـذي علـى خديه[2].

وتنبـه العـرب إلـى خـصائص الكـلاب مـن سـود وبـيض، فـرأوا فـي الـسود أنهـا أقـل صـبراً علـى البـرد والحـر، وأمـا البـيضُ فرأوهـا أفْـره إذا كُـنَّ سـود العيـون، وقـد قـال قـوم: إن الـسود تـصبر علـى البـرد، وزعمـوا أنهـا أقـوى وأن كـل أسـود مـن الحيوانات أقوى من غيره.

وصـاحب البيـزرة يقـول: وأفـره مـا رأينـاه مـن الكـلاب مـا يجـيء مـن المغـرب، وخيـر مـا فيهـا البُلـقُ، وهـي حِسان، فُـرْهٌ علـى كـل مـا أُرسـلت عليـه مـن الطرائد، وخير كلاب الشرق ما جاء من عند الأكراد[3].

أمّـا مـا يـصيده الكلـب مـن الطرائـد، فهـو مختلـف بـاختلاف الكـلاب مـن جهـة، وبـاختلاف إرسـالها وراء الطريـدة مفـردة أو مـع أترابهـا مـن جهـة أخـرى؛ فالواحـد مـن الكـلاب يـصيد الأرنـب مـا لـم يـسلك طريـق الخيـل ويتعلـق بـه[4]، ويـصيد الثعلـب كـذلك إذا عمـد الـى المجـاورة، ولـم يتـستر بجحـر ولا بغيـره، بَيـدَ أن الثعلـب رَوَّاغ مـاكر، فهـو ربمـا التفـت إلـى الكلـب، وقـد أخـرج لـسانه مـن شـدَّةِ العْـدو، فيعـضه فـي لـسانه عـضَّة تجعـل الكلـب يرجـع عنـه، وربمـا تـوارى الثعلـب عـن الكلب في دَغل من شجر أو نحو ذلك ما يتستر عنه.

وقـد يـصيد الكلـب الـدرَّاج، كمـا أن البـازي والـصقر يـصيدان الأرنـب، قـال بعض الأدباء[5]:

---

[1] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص152.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص36.

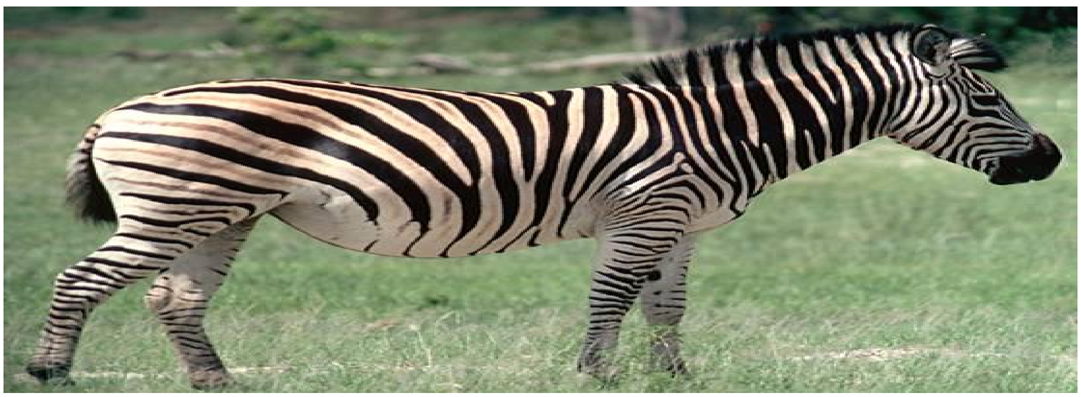
[3] الفاطمي، البيزرة، ص149.

[4] الجاحظ، الحيوان، 48/2

[5] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 142

ومصدَّرين بِكُـلِّ مجلـسِ حكمـةٍ		مـتقـدِّميـن بِكُلِّ يـومٍ بــــرِازِ
سـبقـوا الـى غُـرَرِ الفَخار وأحـرزوا		خِصَلَ الفَضائلِ أيَّما إحـــرازِ
لا يستـبينُ مـن الطِّـرادِ جـيادُهـــم		فـتـراهم أبداً عـلى أوفـــــازِ[1]
فُبـزاتـهمْ تصـطـادُ صَيْـدَ كـلابِـهم		وكـلابُـهم تصطادُ صيدَ البازي
ألِفـوا الـوغى فتعـلَّـلوا بـمصـائـــدَ		عـن شـنِّ غـارات وبعد مفــازِ

ب. حمار الوحش:



الحمـــار نوعـــان أهلـــيٌ، ووحـــشيٌ، والأول حيـــوانٌ داجـــنٌ لا يُؤكـــل لحمـــه، والثـاني وحـشي يُـصاد ويؤكـل[2]، وبـه ضُـربَ المثـل، فقيـل: "كـلُّ الـصيد فـي جـوف الفرا"، والفرا من أسماء حمار الوحش[3].

والحُمـــر الوحـــشية عامـــة، والأخدريـــة خاصـــة، أطـــول أعمـــاراً مـــن الحُمـــر الأهليـة، وهـي تزيـد عليهـا مـراراً فـي ذلـك[4]، بـل غـالى بعـضهم فـي ذلـك مغـالاة

---

[1] أوفاز: جمع مفردها وَفَز وهي المكان العالي المرتفع، انظر ابن منظور، لسان العرب مادة (وَفَزَ).

[2] الجاحظ، الحيوان، 46/4، انظر، الدميري،245/1.

[3] ابن سيدة، المخصص،46/8.

[4] الجاحظ، الحيوان، 139/1.

كبيرة فقال: إن الحمار الوحشي يُعمَّرُ مائتي سنة وأكثر، وكلما بلغ مائة صارت له مِبْولة جديدة، وقد شوهد من هذه الحمر ما له ثلاث مباول وأربع[1].

وتسمى أنثى حُمر الوحش أتان، والجمع آتُن، وأُتُن، وصعدَةٌ، وبيدانةٌ نسبة ألى البيد، وتوصف الأتان بأنها سمجحٌ، إذا كانت طويلة الظهر، ونجود إذا كانت طويلة العنق، وشهير إذا كانت عريضة، وقَيدور إذا كانت طويلة، وقنفج إذا كانت قصيرة عريضة، وخَذُوف إذا كانت سمينة، وعُلجْومٌ إذا كانت كثيرة اللحم، وإيدٌ إذا كانت وحشية أو أتى عليها الدهر، وسَلوب إذا كانت قد سُلبت أولادها، وَمَراغة إذا كانت لا تتمنع عن الفحولة؛ ولذلك دُعي "جرير"ابن المَراغة[2].

وللحمار الوحشي فوائدُ كثيرة من باب البيزرة والتداوي، فشحمه نافع من الكلف إذا طُلي به، ومن وجع الظهر والكُليتين، والعارض من البلغم، والرياح الغليظة[3]، وفي القديم كانوا يستخدمون حافره لطبابة العيون، فإذا حرق حافره، وسحق وأُكْحِل به أحدَّ البصر، ونفع مِنْ الغشاوة، ودفع أوجاع العين[4]، ودماغه يُدَاف بماء الكَرْفَس والعسل، ويغلى ويسقى منه من به وجع السلّ في الحمام بماء حار على الريق فيبرأ، فيقول كشاجم[5]:

لما بدا الصبحُ فقيلَ أسفرا وَقوّضَ الليلُ فقيلَ شمَّرا
وأذْكتِ الرّيحُ نسيماً عَطراً كأنَّما يُؤخذ منه عنبرا[6]

---

[1] النويري، نهاية الأرب، 327/9.

[2] ابن سيدة، المخصص، 44/8، و"المَراغة" بفتح الميم هي الأتان وقيل لا تمتنع من الفحول (لسان العرب: مادة مَرَغَ).

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص157.

[4] المصدر نفسه، ص 158.

[5] المصدر نفسة، ص158.

[6] الصواب: عنبرُ: نائب فاعل.

وظـهـرت أو كربَت أن تظهرا   وقـالَ مـن كـانَ أحـدٌّ بَـصَرا
لـمن يـليه جَـذِلاً مستبشراً:   أمــا تـرى أمـا تـرى أما ترى؟

والغيـرة الـشديدة مـن طبـع حمـار الـوحش علـى أُتُنِـه، حتـى قيـل إن فـي حُمـر الـوحش مـا إن وُلِـدَ لــه ذكـر كَـدَمَ قـضيب المولـود وخـصيته، حتــى يقطعهــا وإنَّ الأتــان تعمـل الحيلــة، فتـواري الجحـش عـن أبيــه، وتجعلــه فــي مكـان نــاءٍ، وتكـسر رجلــه؛ ليـستقر فـي ذلـك المكـان، ثـم تتعهـده وترضـعه، إلـى أن تجبـر رجلـه ويـتمكن من المشي عليها، وعند ذلك بلغ من القوة ما يدفع به عن نفسه شر غيرة أبيه[1].

وحمــر الــوحش لا تعــيش إلّا جماعــات، ولكــل جماعــة قائــد يقودهــا، فتــرد بوروده، وتصدر بصدوره، وتنهض بنهوضه، وتقع بوقوعه[2].

ولا يكـاد يتعلـق بــه شــيء مـن الـضواري ولا الجـوارح إلا العُقـاب، فهـي حـين لا تجـد مــا تـصيده، تـنقضُّ علــى الحمــار الوحـشي انقـضاض الـصخرة التــي تقـدُّ بالإصبع التي وراء رجلها ما بين عُجب[3]، ذنبه الى مَنسِجِه[4].

إن صــيّاد حمــار الــوحش يــستخدم طرقــاً متعــددّة، فمنهــا الأشــراك الحديديــة المــستورة والمدسوســة تحــت التــراب، فــي أمــاكن متفرقــة، حتــى إذا خطــا عليهــا الحمــار الوحــشي انطبقــت علــى قوائمــه، وقطعــت عــصباً فــلا يــستطيع القيــام[5]، وتــصاد ايــضاً بــالرمي بالنــشاب، وهــو أبلــغ طريقــة فــي صــيد حمــر الــوحش[6]، وإطـــلاق الكـــلاب عليـــه، وقـــد أكثـــر الـــشعراء الجـــاهليون مـــن وصـــف هـــاتين الطـريقتين، هـذا وإن الأسـد يـصيد حمـار الـوحش، فيلقيـه علـى مؤخرتـه ويمـسكه

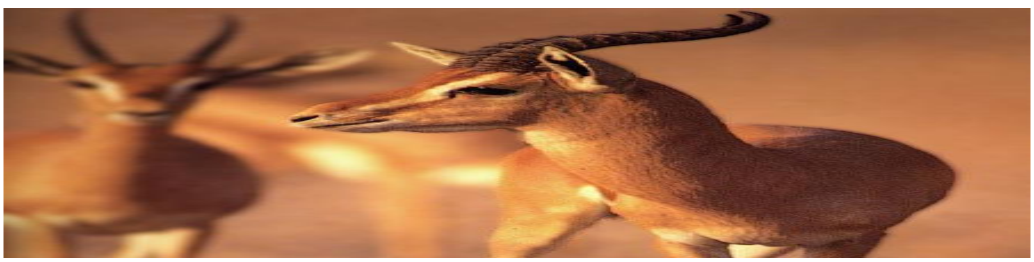
---

[1] انظر كشاجم، المصايد والمطارد، ص157.
[2] الجاحظ، الحيوان، 2/255_256.
[3] العُجْبُ: بالفتح اصل الذنب.
[4] المَنْسَج: ما شخص من فروع الكتفين الى أصل العنق.
[5] كشاجم، المصايد والمطارد، ص47.
[6] القلقشندي، صبحي الأعشى، 2/43.

بيمينــه، ويطعـن لبَتَّـه بمخلــب يـساره، ويفـتح فمــه، فيتلقــى دَمــه، وكأنــه يتـدفق مـن فوارة، حتى إذا شربه كله صار إلى شقِّ بطنه وأكل لحمه[1].

وقـد أكثـر العـرب مـن ضـرب الأمثـال بالحمـار الوحـشي، مـن ذلـك قـولهم "كـل الـصيد فـي جـوف الفـرا"، وقـولهم: "العيـر أوقـى لِدَمِـه"، يـضرب للموصـوف بالحـذر، وذلـك أنــه لـيس شـيء مـن الـصيد يحـذر حـذر العيـر إذا طُلـب وطُـرِدَ، وقـولهم:"الجحـش إذا فاتتـك الأعيـارُ" يُـضرب لمـن طلـب الأمـر الكبيـر، فيفوتـه فيقـال لـه: اطلـب مـن دون ذلـك[2]، وقـولهم: "إن ذهـب عيـرٌ فعيـرٌ بالربـاط"، يُـضرب لمـن يحـض علـى الرضـا بالحاضـر وتـرك الغائـب، وقـولهم:"عُيَـرْ وحـده، وجُحَـش وحده" يضربان لمن يشيد برأيه ويعتزل الناس"[3].

ج. الظبي:



أكثـر العـرب مـن أسـماء الظبـاء كثـرة بالغـة، فجعلـوا لهـا أسـماءً باعتبـار أعمارهــا، وأخــرى باعتبــار أوصـــافها، وثالثــة باعتبــار أولادهــا، ورابعــة باعتبــار تذكيرها وتأنيثها.

فالواحـد ظبـيٌ، والأنثــى ظبيــة، وولـدها أول مــا يولـد طَلْــيٌ وغـزال، فــإذا تحـرك ومـشى فهـو رَشَــأ، فـإذا نبـت قرنـاه فهـو شَــادِن وخِـشْف، فـإذا قـوى فهـو شَصَر، والأنثى شَصَرة، ثم هو جَذَع ثم ثِنْيٌ، ولايزال ثنياً حتى يموت[4].

---

[1] الجاحظ، الحيوان، 387/6.

[2] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص195.

[3] الجاحظ، الحيوان، 255/2-256.

[4] انظر، ابن سيدة، المخصص،21/8، كشاجم، المصايد والمطارد، ص202.

وتقول العرب: الظبي إذا تراوح عمره بين ستة أشهر، وثمانية أشهر، وعدا ولحق الظباء، "جَدَبت"، وهو يطلق على الذكر والأنثى[1]، ويورد لنا كشاجم حادثة وقعت بين جعفر بن محمد وأبي حنيفة، سأل جعفر بن محمد عليه السلام أبا حنيفة، فقال: ما على محرم كسر رباعية الظبي؟ فقال: يا ابن رسول الله، ما أعلم ما فيه، فقال: أنت تتداهى، ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية، وهو ثني أبداً[2].

ثم أنهم اطلقوا اسم "اليعفور" على الظبي، حين يكون خِشْناً صغيراً لكثرة لصوقه بالتراب، والأنثى يعفورة.

والظباء أنواع تختلف باختلاف مواضعها وألوانها، فصنف منها يسمى الآرام، وهي ظباء بيض الأجسام، خالصة البياض، وهي أشد الظباء حُضراً وأكثرها شحماً ولحماً؛ ولذا تدعى ضأن الظباء، ومساكنها الرمل وهي على لونه[3].



[1] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص27.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص203، في اللسان، (ثّني)، والثني من الإبل الذي يبلغ السادسة من العمر، ومن الغنم الداخل في الثالثة ثنياً كان او كبشاً.

[3] النويري، نهاية الأرب، 232/9، كشاجم، المصايد والمطارد، ص201.

وصـنف يُـسمَّى الآرام، وهـي ظبـاء كحـل العيـون بـيض البطـون، حمـر الظهـور، مُثْلفـة الأعنـاق، طـوال القـوائم، وهـي ظبـاء الحجـاز، ومـساكنها الجبـال والشعاب فهي على ألوانه أيضاً[1].



ومـن طبـائع الظبـاء، أنهـا توصـف أسـرع مـن الوحـوش عـدواً، وأخفهـا حركـة ووثبـاً، والعـرب تـدعو وثـب الظبـاء خَـزْواً، والظبـي حـين يثـب يجمـع قوائمـه ثـم ينشرها عند الوقوع، ويدعى هذا الوثب النَّفْزُ والنَّقْزُ[2].

والظبـي إذا تخلّـف عـن بقيـة القطيـع يُـذعر ويعـدو عـدواً سـريعاً، فـالظبي يهقـق[3]، ويـزرق ويطفـر، وينقـز[4]، وإذا جمـع قوائمـه وثـب، فـإذا تخلـف مـن القطيـع قيل خَذَل[5] وطَمرَ[6] إذا وثب من موضع عالٍ إلى أسفلٍ.

وعـدو الظبـاء إنمـا يكـون فـي الـسهول المنبـسطة، ولـيس لهـا القـدرة علـى العـدو والإسـراع فـي الجبـال، وتعـيش الظبـاء علـى شـكل مجموعـات، وتـصل غالبـاً

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، 44/2.

[2] النَّقْزُ و النَّفْزُ: كالوثبين صعداً في مكان واحد،نقز الظبي، لسان العرب، مادة نَفَزَ و نَقَزَ.

[3] في اللسان: هقق، هق الرجل هرب،قال عمرو بن كلثوم، فاستعاره للكلاب" "وقد هقت كلاب الحي منا وشذبنا قتادة من يلينا" (ابن كلثوم، عمرو، ديوانه، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، 1991، ط1، ص89).

[4] في لسان العرب: نفز (بالفاء) الظبي ينفز، إذا وثب في عدوه وقيل رفع قوائمه.

[5] خَذَلَ: خذلت الظبية والبقرة، وغيرها من الدواب وهي خاذل وخذل تخلف عن صواحبها وانفردت.

[6] طمَرَ: من افعال الأضداد، ويطلق على الخفاء و الظهور، وفي اللسان"طَمَرَ اذا علا وإذا سفل، والمطمور العالي والأسفل.

إلــى الثلاثـين والأربعـين، وتـسمى الأمْعـوز، وحـين يـشتدُّ الحـر تجعـل الظبـاء رعيهـا فــي الغـدوات، حيـث يكـون الجـو لا يـزال بـارداً، وفــي الليـل حـين تغـرب الـشمس، فيقول ذو الرُّمة في وصفها[1]:

إذا ذابـتِ الشَّمْسُ أتقى صفراتِـها   بأفـنانِ مـربـوعِ الصَّرْيمَةِ مَعْبَلِ

إلـى ظـلٍ يـهـوٍ ذي أخٍ يستـعـدُّهُ   إذا هُجِـرَتْ أيـامُـهُ للـتَّحَـــــوُّلِ

فــصفرة الــشمس، أي شــدّة وقــع الــشمس فــي وقــت الظهــر، وقــد تحــبس الظبــاء عــن المــاء ثلاثــة، أو أربعــة أيــام، او ثــلاث ليــالٍ وتُــوْرَدُ بــالرابع، وطبــع الظبـاء أنهـا تخـرج رأسـها مـن كناسـها لتحـسس حالـة الجـو أو لغـرض آخـر، فيقـال: أتلعت الظبية بمعنى أخرجت رأسها من كناستها.

أمّــا ظلــف الظبـــي، فــشديد الأثــر فيمــا يطــأ عليــه؛ لــذا فــإن الــصائدين يـستدلون علـى الظبـاء بآثـار أظلافهـا فـي المواقـع الرمليـة، وبأبعارهـا فـي مـا عـدا ذلك من الأرض[2]، فيقول كشاجم[3]:

وتكشف عن كظلفِ الظبي لطفاً   وقعرُ البحرِ عمقاً واتساعاً

وقال أعرابي:

كأنَّ منها عندَ لمسِ اللامسِ   وطأةَ ظبيٍ في مكانٍ يابِسِ

ومـن طبـاع الظبـاء، أنهـا إذا فقـدت المـاء استنـشقت النـسيم، واعتاضـت بـه عـن الماء، وقيل إن الذي يفعل ذلك منها هو ظباء الدَّو، والدَهْنَاء، والصَّمّان[4].

فيــستدل علـــى بعــر الغــزال مــن خــلال، رائحتــه ولطفــه وتــدويره، فيقــول ذو الرِّمة[5]:

---

[1] ذو الرمة، ديوانه، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، 1995،ط1، ص146.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص205.

[3] المصدر نفسه، ص221.

[4] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص211.

[5] ذو الرمة، ديوانه، ص167.

ترى بَعْرَ الغِزلان فيه وفوقَهُ   حديثاً وحامياً كَحَبِّ القُرنْفلِ

يُستدل على الظبي، بكثرة نُباحه، وإذا أسنَّ نَبَحَ، قال الشاعر:

وينبَحُ بين الشِّعْبِ نَبْحاً تخالُهُ   كلابَ سلوقٍ، أبصرتْ ما يُريبُها

ولا يدخل كناسه إلّا مستدبراً، يستقبل بعينيه ما يخافه على نفسه، وليس يحضر في الجبال فيقول الشاعر[1]:

والظبيُ في رأسِ اليفاعِ تخالُهُ   عندَ الهِضابِ مُقيَّداً مشكولاً

والظبي إذا طرده طارد، لم يجهد نفسه في العدو الأول، وإنما يرفق بنفسه، ويخطط بقواه الى الوقت الذي يضعف فيه قوى طارده، فإذا رأى طالبه قد دنا منه جَدَّ في العدو، وقد زاد سرعته حتى يفوته[2]، وفي طبعه أنه يصادق الحجل من الطيور ويأنس به ويرتاح.

والظباء تَسْتَطِيبُ الحنظل، فكثير ما يُرى الظبي، وهو يأكل الحنظل، وماؤه يسيل من شدقيه، كما أنها تستطيب أيضاً ماء البحر الأُجاج، فيغمس التيس لحيته ويكرع منه كما تكرع الشاة من الماء العذب[3].

أمَّا صيد الظباء، فيصاد بالشَّرَك، والحِبالة، وإيقاد النار بالقرب منه، فإنه لا يزال يتأملها، ويدْمِن النظر اليها، فيعشى بصره ويذهل عقله، وربما أضيف إلى النار تحريك أجراس فيذهل بذلك، قال الشاعر[4]:

سِوى نارِ بِيضِ أو غزالٍ بقَفْرَةٍ   أغنُّ من الخُنسِ المناخِرِ تَوْءِمِ

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص109.

[2] النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب، دار الكتب، مصر، 1351هـ، 332/9.

[3] الجاحظ، الحيوان، 143/5، نهاية الأرب، 332/9.

[4] كشاجم، المصايد والمطارد، ص207.

وكان الأعراب في الجاهلية لا يصيدون الظبي في أول الليل؛ لأنهم يعتقدون أن الظباء من مطايا الجن[1]، يصاد أيضاً، بالفهد والكلب من الضواري والعُقاب من الجوارح.

د. الدُّب:



الدُّب مِنْ السِبَاع، معروف، والأنثى دُبَّة، والجمع دَبَبةً، والدُّب يحب العزلة والسكن في الجبال والمغائر، فإذا جاء الشتاء دخل في إحدى المُغر، واتخذها مسكناً، ولا يخرج حتى يطيب الهواء، فيظهر في فصل الربيع كأسمن ما يكون عليه.

وهو مختلف الطِّباع، ومن طبعه أنه يأكل ما تأكله السِّباع، وما ترعاه البهائم، وما يأكله الإنسان، وإن جاع مصَّ يديه، ورجليه واغتذى بهما واكتفى[2].

أمّا طبع الأُنثى فهي تضع جروها قطعة لحم غير مميز الجوارح، فتهرب به من موضع لموضع؛ خوفاً عليه من النمل "الذّر"، وهي مع ذلك تلحسه حتى تتميز أعضاؤه ويتنفس، وإذا خيم في مكان لا يتحرك منه إلّا أن يمضي عليه أربعة عشر يوماً، وبعد ذلك يتحرك تدريجياً[3].

---

[1] انظر، الجاحظ، الحيوان، 2/117-118.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص217.

[3] الدُّميري، حياة الحيوان الكبرى، ص326-327.

ومن خصائص الأنثى وطبائعها، أنها إذا انهزمت وضعت جراءها بين يديها، فإذا اشتدَّ خوفها عليها صعدت بها الى الأشجار.

وفي طبيعته أيضاً فطنة عجيبة لقبول التأديب، لكنه لا يطيع معلِّمه إلّا بعنف وضرب شديد.

أمّا الفائدة الطبية للدُّب، فقيل إن مرارته تُنبت الشعر في رأس الأقرع في ما يقال، وإذا سحقت يطلى بها داء الثعلبة فينبت الشعر، وعينه إذا عُلِّقت على الإنسان لم يقتربه السبع، وإن مرَّ بقوم لم يشعروا به.

أمَّا شحمه فإذا سحقت مع الرماد وعجنت بزيت وطلي به الجناحان كثر شعرهما ويهدهن من به الباسور فيبرأ[1].

2.3 طبائع الطيور عند كشاجم

أ. النسور:



يقال نسرُ أنسرُ وللهرمة قشعمة، ومنقارهُ منسره ينشر به، وأظفاره مناسر، والمضرجي الذي اشتد حمرته ومنها أسود بهم، والأَربَد لون الرماد، والأكْدَّر كذلك[2].

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص217.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص224، انظر، الدميري، حياة الحيوان الكبرى /304.

يملـك النـسر جناحـاً طـويلاً وعريـضاً، ولـه القـدرة الفائقـة علـى الطيـران المـستديم، حيـث إنـه يطيـر لمـسافات بعيـدة بحثـاً عـن الطعـام؛ لهـذا الـسبب أصبحت أجنحته نامية بشكل جيد تساعده على الحوم.

فأمَّـا الـذيل فيكـون قـصيراً وعريـضاً؛ إذ إنهـا نـادراً مـا تحتـاج الـى الـدوران االـسريع والفجـائي، والأقـدام ذات مخالـب قـصيرة، وضـعيفة التقـوس تـشبه أقـدام الـدجاج، وهـي غيـر مخصـصة للمسك، وإنمـا تمكنـه مـن الـركض بعد تنـاول وجبـة غذاء شهية.

ومـن طبـائع هـذا الطيـر أنـه أكثـر الجـوارح شـراهة فـي الأكـل، حيـث تأكـل كـل مـا تجـد أمامهـا، ولا تبـالي بمـا يكـون، ونـادراً مـا تهـاجم الفـرائس الحيـة، وإنمـا تأكل الميتة والجيف وبها يُصاد[1].

كـذلك توصـف بأنهـا جبانـة وعـدم قـدرتها علـى الـصيد، ويمكـن أن تـدرب وتـدجن وتطيـر وتحـط علـى يـد المـدرب، ولكنهـا لا تـستطيع أن تقتُـل، ومـن أنواعها النسر الأسمر، والنسر الملتحي، والنسر الأسود، والرخمة المصرية.

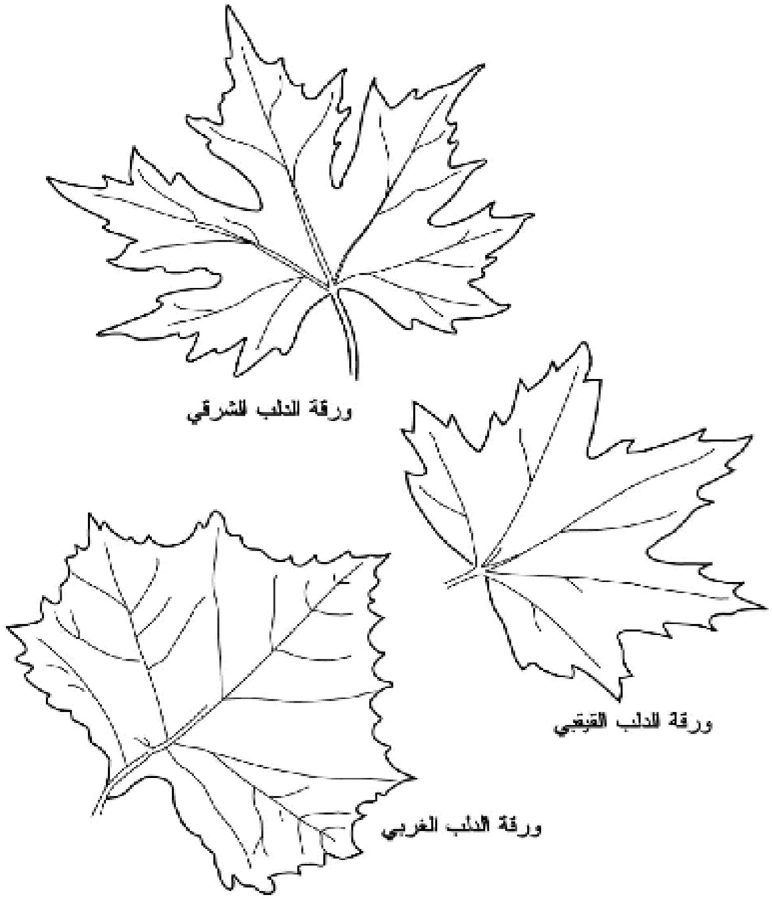
والنـسر عنـده حاسـة شـم قويـة، فـإذا شـمَّ الطيـب مـات مـن سـاعته، يـأتي بحجـر مـن بـلاد الهنـد لتـسهيل الـولادة، واذا خافـت أنثـاه علـى بيـضها بـسطت تحتها ورق الدُّلب[2][*]، الشكل التالي يبين لنا ورق الدلْب.

---

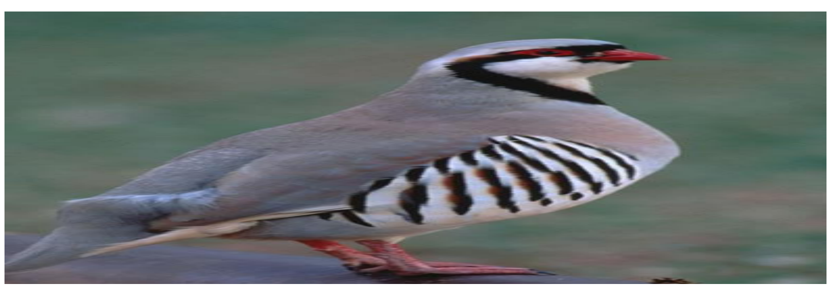
[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 224.

[2] الخفاجي، امجد، الصيد بالطيورالجارحة، ص50.

[*] الدُّلْبُ شجر العَيْثام وقيل شجر الصِّنار وهو بالصِّنار أَشْبَهُ، انظر ابن منظور، لسان العرب. مادة (دلب)



ب. القَطَّا:



القَطَّا واحدتهُ قَطاة، والجمع قطوات وقَطَيَات[1]، وهو معدود من الحمام، وسمي "قطا"؛ لحكاية صوته؛ لأنه يصيح "قطا قطا"؛ ولذلك تصف العرب القطا بالصِّدق[1].

---

[1] انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قطَو).

والقطـــا لونـــان الكُـــدري والجُـــوني، والكُـــدري غَبِرالألـــوان رقـــش الظهـــور والبطون صغر الحلوق قصار الأذناب[2].

والجُـــوني ســـود البطـــون والأجنحـــة والقـــوادم، وظهرهـــا أغبـــر أرقـــط تعلـــوه صفره، وهي أكبر من الكُدري، بحيث تعدل كل جونية كُدريتين[3].

ومـن طبـائع القطـا أنهـا لا تـضع بيـضها الاّ أفـراداً وأنهـا تبـيض فـي القَفـر علـى مـسافة بعيـدة مـن المـاء، وإذا خرجـت تـشرب المـاء تخـرج أسـراباً لا متفرقـة عنـد طلـوع الـشمس، فـإذا وصـلت المـاء شـربت ثـم أقامـت سـاعتين إلـى ثـلاث سـاعات ثـم تعـود إلـى المـاء فترتـوي وترجـع إلـى أماكنهـا وفـي حواصـيلها المـاء لصغارها[4].

أمّـا طبيعـة مـشية القطـا فهـي تمـشي مـشي النـساء الخَفِـرات، وقـد أكثـرت العـرب مـن ضـرب الأمثـال بالقطـا فقالـت: "فـلان أشـب مـن القطـا" وقـالوا: "لـو تـرك القطـا لـيلاً لنـام"، ويـذكر أن عمـرَ بـن ماجـة نـزل علـى قـوم مـن مـراد، فطرقـوه لـيلاً فأثـاروا القطـا مـن أماكنهـا،فرأتهـا إمرأتـه طـائراً، فنبَّهـت زوجهـا فقالـت: إنمـا هـذا القطـا فقالـت: لـو تُـركَ القطـا لـيلاً لنـام، ويـضرب هـذا المثـل لمـن حُمِـل علـى مكروه من غير إرادته[5].

ج. القُبَّج:

---

[1] انظر، القلقشندي، صبحي الأعشى، 72/2.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص277.

[3] الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 252/2.

[4] الباشا، الصيد عند العرب، أدواته طرقه حيوانه الصائد والمصيد، ص231.

[5] انظر، القلقشندي، صبحي الأعشى، 73/2، الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 253/2.



كلمـة فارسـية عربيتهـا الحَجَلَـة، والواحـدة قُبَّجـة[1]، مـن فـصيلة الطيـور، وهـو طـائر خَبـث، ولـه قـوة كبيـرة علـى التخريـب، وخاصـة إذا إنـشغلت عنـه الأنثـى، فمـن طبعـه أن ينقـر البـيض ليفـسده، ومـن مميزاتـه أن يبـيض هـو والـدَّراج بـين الأعـشاب الملتوية ليخفي بيضه.

ومـن خصائـصه وميزاتـه أن لـه حوصـلاً وفمـاً ومعـدةً عريـضة واسـعة، ولا تتوفر هذه الخاصية في سائر أجناس الطير[2].

الـشكل الآتـي يبـين لنـا بعـض الطيـور المختلفـة الـواردة فـي كتـاب المـصايد والمطارد[3]:

---

[1] معلوف، أمين، معجم الحيوان، القاهرة، 1932، ص183، الدميري، حياة الحيوان الكبرى،208/1.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص272.

[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 5،75،86،87،88،251،266،42،43،45،82،84،12،58،74،233،44،114،115،218،4 (6،250،252،265،266،59،60،80،81114،124).


حجل
عصفور بر
بلبل النخل
هدهد
وزة
أم سالم
شيخ نخل

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية لقصائد مختارة في كتاب المصايد والمطارد لكشاجم

1.4 شكل الطردية وبناؤها في كتاب المصايد والمطارد

لاقت الطردية قبولاً واستحساناً عند الكثير من شعراء العصر العباسي الثاني، وتعد فناً من الفنون الشعرية عندهم، كأبي نواس الذي وضع لبنائها حجر الأساس، فقد تبعه العديد من الشعراء في السير على مخططه مع بعض التجديد[1]، فقد وضع أسلوباً ثابتاً لهذا المذهب الشعري، وفتح مدرسة لشعر الصيد[2]، فأضحت طردياته أول قمة تسلق عليها فن الطرد حتى بدا البناء شامخاً[3].

أمَّا كشاجم فقد جاء من بعده مهتماً بهذا اللون الشعري، الذي أبدع فيه فجاء إبداعه نتاج حبه وشغفه للطرد والصيد، حتى أضحى بين أيدينا جواهر من الطرديات التي تفنن بها وفصَّل، فسار على درب المعلم البارع لهذا الفن أبي نواس، حتى أصبحت الطردية عنده وحدة تأليفية متناسقة تقتصر على وصف الطرد، وما يتعلق به[4].

وما يخص الطرديات التي تناولها كشاجم في كتابه المصايد والمطارد، التي نحن بصدد الحديث عنها، فقد ظهرت بثلاثة أشكال، المقطعة الشعرية، والأرجوزة، والقصيدة، فالشكل الأول غلب على الطرديات في كتابه

---

[1] ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، ط6، دار المعارف، مصر،(د،ت)ص234.

[2] بروكل مان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ج2، ص27.

[3] خريس، حسين، حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصرية، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1994م، ص207.

[4] الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرد في الشعر العربي القديم حتى نهاية القرن الثاني للهجرة، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،1981، ص247.

المصايد والمطارد، وليس هذا غريباً لأن المقطعات الشعرية سمة من سمات الشكل التي يمتاز بها العصر العباسي، بل أنها مناسبة لموضوع محدد الجوانب فقد عدَّ بعض النقاد هذه المقطعات خروجاً على عامود الشعر العربي وإعراضا عن نهج القصيدة القديمة، فقد أصبحت كل واحدة منها تضم غرضاً بعينه يستغرق القطعة من بدايتها إلى نهايتها[1].

والقصائد الكاملة التي اعتمد عليها كشاجم في كتابه، فقد بدت وكأنها شكل هندسي التفت إلى بنائها الفني عندما استشهد بها، فجودتها وبنائها المحكم هو سبب اختياره لها، فقد اشتملت هذه القصيدة على مجموعة من الأركان اعتمد بناءها عليها، وهذه الأركان هي: وقت الصيد، ومكانه، وصفات الصائد، ووسيلة الصيد والطريدة، ومشهد الصراع، ثم نهاية الصيد.

ففي قصيدة أحمد بن أبي كريمة في صيده للأرنب يتضح بناء الطردية كألوان متكاملة، يظهر بها جميع أركان الطردية وبناءها، فالشاعر يستعد لهذه المغامرة الجادة، في وقت ماطر ورياحه مشتدة ويبدو فيه القمر في أوقات عندما يظهر أحياناً وكأنه قنديل راهب يستدل به ساري الدمى فيقول[2]:

وربَّ رذاذٍ مزُقَتْ عن سمائِــــهِ شآميةٌ حصّاء جونُ السحـــــائبِ
بَغِيثٍ وأثوابُ الدُّجى قد تقلَّصتْ بغُرّةِ مشهور من الصبحِ ثاقـــبِ
وقد لاح ناغي الليلِ حتى كأنَّـهُ لساري الدُّجى في الفجرِ قنديلُ راهبِ
بها ليلُ لا يثنيهمُ عن عزيمـــةِ وإن كان غيرَ الرشد لـــومُ القرائبِ

---

[1] هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص172.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص144.

أمَّـا الـركن الثـاني لهـذه الطرديــة، فهـو أداة الـصيد فهــي الكــلاب المعـدَّة لهـذه المهمــة الـصعبة، فهــي ليـست كـأي نــوع آخـر وإنمـا مـسترخية الآذان مـن طولها وسعتها، وتبدو كالقَّداح الجميلة التي تبهر الشارب بها فيقول[1]:

لتحـــضيرِ غِـــضْفٍ كالقـــداحِ لطيفـــةٍ مـــــشرّطة آذانهـــــا بالمخالـــــبِ

فلـم يكتـفِ الـشاعر بهـذا، بـل يتفـنن الوصـف لهـذه الكـلاب؛ فأذنابهـا وكأنهـا سـياط تجلـد بهـا الطريـدة، طويلـة الأعنـاق ضـوامر كأنهـا قـداح مهذبـة ومحكمـة الـصنع، فـإذا افترشـت الأرض أثـارت العجـاج، وإذا افترشـت الحجـارة بـدا منهـا الشرار والنار وفي هذا يقول كشاجم[2]:

تخالُ سياطاً في صَلاهِا منوطةً طوالَ الهوادي كالقِداحِ الشَّــوازبِ

إذا افترشت خَبْتَاً أثارت بمتنــه عَجاجَاً وبالكذانِ [3] نارَ الحُباحبِ

وبعـد هـذا ينتقـل الـشاعر إلـى وصـف الطريـدة، التـي طـار قلبهـا ذعـراً وخوفـاً عندما تقتفي آثارها هذه الكلاب فقال[4]:

كأنَ بها ذُعْراً يُطير قلوبها صفير المكاكي أو صريرِ الجنادبِ

ثـم ينتقـل إلـى مرحلـة الـصراع عنـد طردهـا للثعلـب فيـصور مظهرهـا وأنيابهـا في هذه اللحظات الخطيرة فيقول[5]:

كأنَّ غصونَ الخيزُران مُتُونها شواجبُ حلَّتْ عن طرادِ الثعالـبِ

كواشرُ عن أنيابهنَّ كوالــحٌ (مذلّقةُ) [6] الآذانِ شوسُ الحواجبِ

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص145.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 145.

[3] كذذ: الليث: الكذان، بالفتح، حجارة كأنها المدر فيها رخاوة وربما كانت نخرة، الواحدة كذانة، انظر ابن منظور، لسان العرب مادة (كذذ)، ج3، ص505

[4] المصدر نفسه، ص 145.

[5] كشاجم، المصايد والمطارد، ص 145.

[6] لم ترد هكذا في الأصل هذه رواية نهاية الأرب

أمَّا إذا نظرنا إلى المقطعات التي أوردها كشاجم في كتابه، سواء إليه أم لغيره، فلم يظهر بها الالتزام الكامل، من حيث احتواء جميع أركان الطردية، فقد كان يذكر ركنين من أركان الطردية هما: زمن الصيد، ووسيلة فقط، ويرجح كفة ركن على آخر، ففي قصيدته إلى صديق يكنى بأبي القاسم، فقد بدأها بتهنئته بالنعم التي أصبغها الله عليه وهو إلى جانب صاحب فضل، وظرف فقال[1]:

يــا أبــا القاســمِ هنئِّــتَ الــنِّعم   وتملّيــتَ مــن اللهِ القِــسمْ
حــازت الأقــلام فــضلاً بــاهراً   بــكَ حتــى جــسَّدَ الــسيفُ القلــمْ
وجمعــت الظــرفَ فاســتتمته   فهنيئــاً لــك ظــرفُ فيــك تَــمْ

ثم ذهب بعد ذلك للحديث عن ذكريات الصيد معه بالبازي دون الإشارة إلى مكان الصيد، بل إلى وقت الصيد المتمثل في الغدو فيقول[2]:

لــستُ أنــسى منــكَ مــا شــاهدتُهُ   يــومَ للــصيدِ غــدونا مــن أمــمِ

وفي النهاية يتعرض إلى الحديث عن وسيلة الصيد المتمثلة في البازي ونهاية الطرد التي كانت لصالحه.

ويعود يذكر لنا في إحدى المقطعات التي أوردها في كتابه، ركناً من أركان الطردية، وهو الصراع بين الطريدة والطارد، لكنه ليس صراعاً خارجياً يكشف عن التحام الطارد والمطرود، وإنما صراع داخلي ينجم عن أثر نفسي يستكن في نفس الطريدة، ومبعث هذا الأثر قوة، وضراوة الباشق التي تجعل القطا تتحلق من شدة الخوف الذي يلجمها عن التفكير في الهروب إلى ملاذٍ يحفظها من سطوة البازي، فقال في طرديته[3]:

وكأنَّ جُؤْجُؤهُ وريشَ جناحــــــهِ   ترجيعُ نَقْشِ يدِ الفتاةِ العاتــقِ

---

[1] المصدر نفسه، ص71.
[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص70.
[3] كشاجم، المصايد والمطارد، ص76.

يسمو فيخفضُ في الهواءِ وتـــــــــارةً يهفو فينقضُّ انقضاضَ الطَّارق
ما حـام عـن طـلبِ الحَمامِ ولـم يفـق مُذ كانَ عن صيدِ الأوز الفائـقِ
وإذا القطاةُ تخلَّفـــــت من خـــــوفِهِ لم يعدُ أن يَهويْ بها من حالـقِ

2.4 بناء القصيدة الطردية في كتاب المصايد والمطارد

الـدارس لمعظـم الطرديـات التـي ذكرهـا كـشاجم لـه ولغيـره فـي كتابـه المـصايد والمطـارد، يجـد بـأن البنـاء الفنـي للطرديـة يـسير علـى النحـو الآتـي: المطلـع والـذي يـشتمل غالبـاً وقـت الـصيد والاسـتعداد للمغـامرة، والمقدمـة، (العـرض) الـذي يتـضمنها وصـف وسـيلة الـصيد أو الـصراع الـذي سيحـصل بـين الطارد والطريدة والتخلص، وهو الخروج من العرض إلى الموضوع.

ومـن خـلال دراسـة طرديـات كتـاب المـصايد والمطـارد، نلاحـظ أنّ العديـد مـن أصـحابها يبـدأ مطلعهـا بالجملـة التقليديـة التـي ظهـرت عنـد العديـد مـن الـشعراء مثـل أبـي نـواس، فالغـدو سـيطر علـى مطـالع الكثيـر مـن الطرديـات فـي كتـاب المـصايد والمطـارد (أغدو،أغتـدي، غدا،غـدوت غـدونا) فبلـغ اسـتعمال هـذه الكلمـة في القصائد الموجودة في كتابه سبع عشر مرة.

ففـي إحـدى القـصائد فـي كتابـه – المـصايد والمطـارد-يبـدأ الـشاعر بالبنـاء التقليـدي للطرديـة بالغـدو، ويفتـتح هـذه الطرديـة بهـا، التـي تعـد النقطـة التـي ينطلـق منهـا للبـدء فـي مغـامرة صـعبة مـع الـصائد المـلازم لـه، ومـن هـذه النقطـة يبـدأ بـإبراز الـصفات المعنويـة والجـسدية لهـذا الكلـب الـذي لا يأبـه عـن الطريـدة مهمـا كانـت، فنجده يقول[1]:

قـدْ اغتـدى والفجْـرُ فـي حِجَابِـه لـم يحْلَـلِ العَقْـدةَ مـن نقابِـه
بأغْـضَفَ عيْـشُه مـن عَذابِـه مـن صَـوْلةٍ بظُفْـرهِ ونابِـه

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص152.

يُـــــرَاح أن يُـــــدْعى ليُغْتَـــــدى بـــــه   روحـــــةَ ذي النَّـــــشْوة مـــــن شـــــرابِه

أمَّـا مـن ناحيـة أخـرى، فَرَفَـدَ الكثيـر مـن الـشعراء مطـالع قـصائدهم بالجمـل التقليديـة التـي تـرتبط بتـراث الـصيد، كالكلمـة (أنعـت) فقـد احتلـت المكانـة الثانيـة بعـد أغـدو، ويظهـر الـشاعر فـي إحـدى قـصائده كلبـه متميـزاً متفـرداً فـي صـفاته الجـسدية والمعنويـة، فهـو ذو طبيعـة خاصـة، قـادر علـى التـآلف مـع كـل شـيء مجـرب ومـدرب، ويـصبر علـى كـل شـيء، يـشارك صـقوره فـي الـصيد لكنـه متفـرداً بصيده فيقول[1]:

أنعـــــتُ كلبـــــاً بكـــــسرِ اليحمـــــورا   مجرّبـــــاً مـــــدرباً صـــــبورا

يـــــأنفُ أن يـــــشاركَ الـــــصُّقورا   منفـــــرداً بـــــصيدِهِ مُغيـــــرا

إذا جـــــرى حـــــسبْتَهُ المقـــــدورا   يكـــــادُ للـــــسرعةِ أن يطيـــــرا

حتفـــــا لمـــــن عـــــنّ لـــــه مبـــــراً   أعجـــــز أن أرى لـــــه نظيـــــرا

خـلال هـذه المطـالع يتـضح للـدارس الـزمن المحـدد للـصيد والطـرد، زمـن هـذا الـشاعر هـو (الغـدو) الـصباح البـاكر سـواء أكـان تتبـع قطيـع أم حيـوان مفـرد، كـذلك يمكـن أن يـستنتج مـن الـشعر أو يقـرأ منـه تـصريحاً، ومـن الواضـح أن التوقيت يعتمد عنصر المفاجأة[2].

أمَّـا بالنـسبة إلـى المقدمـة فقـد تـراءت لنـا علـى طـول العـصر الجـاهلي مقـدمات تزخـر بالحيـاة وتتـدفق بهـا تـدفقاً، حتـى نكـاد نـسمع مـن خلالهـا نبـضات قلـوب الـشعراء وخفقاتهـا ونحيـبهم وعـويلهم، أسـى وحَـسْرَة علـى أيـام ودَّعوهـا قبـل النهايـة المحتومـة الحزينـة، أو بعبـارة أخـرى قبـل الرحلـة التـي تـؤذن بإنهـاء تلـك الأيـام وانتهـاء فـصولها علـى مـسارح الـشباب وملاعـب الـصِّبا، وإنهـا تتحـول إلـى

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص144.

[2] يموت، سوسن، مشاهد الصيد في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان،1985، ص55.

ذكريات دفينة في أعماقهم، حبيسة في أطواء نفوسهم، ينسونها حيناً ولكنها تعود بقوة كلما مروا بديار محبوباتهم[1].

فالمقدمات الطللية صفحة من حياة الناس في العصر الجاهلي، فالشعر الجاهلي مرآة الحياة العربية، والصورة الصادقة لعادات العرب وتقاليدهم، والصورة الجميلة الرائعة، والمعاني الدقيقة الموحية، ما تجعله يعدُّ ذروة الشعر العربي، وقد كان القدوة المثلى التي احتذاها الشعراء في العصور الإسلامية والأموية والعباسية[2].

إنَّ ظاهرة المقدمات قد نشأت مرتبطة بالبيئة ونوع الحياة والحضارة فيها، وهي ظاهرة لم تتخذ شكلاً واحداً بل تعددت أشكالها وتنوعت صورها، فالشعراء العباسيون أخذوا يغيِّرون في شكل المقدمة الطللية، واستحدثوا أنواعا من فواتح المقدمات استمدوها من بيئتهم المتحضرة وحياتهم المترفة، فحذفوا الكثير من عناصرها البدوية المتصلة بالبيئة الصحراوية، وأهملوا مقدمة وصف الضغائن، لكنهم لم يهملوا مقدمة الفروسية[3].

أمَّا مقدمات الطرديات في كتاب المصايد والمطارد، فنجدُ أن محورها وصف رحلة الصيد ووصف الطاردة (الكلب، الفهد، الفرس،....)، وغالباً ما تبدأ بوصف زمن رحلة الصيد، ثم ينتقل إلى وصف طاردة، فيورد إحدى الطرديات بهذا النحو حين يصف الشاعر رحلة الصيد(الصباح الباكر)؛ لأن

---

[1] عطوان، حسين، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1982، ص 179.

[2] الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه، فنونه، مؤسسةالرسالة، بيروت، لبنان، 1997،ص121.

[3] عطوان، مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني، ص162.

الخـروج للـصيد يكـون غـدوة فيـصف لنـا أَحَـدَ صـقوره بهـي الـشكل لا يوجـد فـي زمانه وبقوته يؤيؤ سواه فيقول[1]:

قَـــدْ أَغْتَـــدى والليـــلُ فـــي دُجـــاهُ بِيُؤْيُـــؤٍ يُعْجِـــبُ مَـــنْ رآهُ
مـــا فـــي اليَـــآئِي يُؤْيُـــؤٌ سِـــواه مـــن ســـفعةٍ طَـــرَّ بهـــا خـــدَّاهُ

ونجـد أيـضاً أن مِـن أصـحاب الطرديـات مَـن بـدأ مقدمتـه بـالتجهيز إلـى رحلة الصيد في إعداد هذا الكلب المميز عن غيره يقول[2]:

أعـــددْتُ كلبـــاً للطـــردِ سَـــلْطَا مُقلـــداً قلائـــداً ومُقْطـــا
فهْـــوَ الجَمِيـــلُ والحَـــسيبُ رَهْطَـــا تَـــرَى لـــه شِـــدْقين خُطّـــاً خَطَّـــا
وَملطَمـــاً سَـــهْلاً ولَحْيـــاً سَـــبْطَا ذاكَ ومَتْنَـــــين إذا تَمَطَّـــــا

بالنـسبة إلـى الـتخلص فـي الطرديـات المـراد بـه أن يـستطرد الـشاعر المـتمكن مـن معنـى آخـر، يتعلـق بممدوحـة بـتخلص سـهل يختلـسه اختلاسـاً رشـيقاً دقيـق المعنـى، بحيـث لا يـشعر الـسامع بالانتقـال مـن المعنـى الأول إلّا وقـد وقـع فـي الثـاني؛ لـشدّة الممازجـة والالتئـام والانـسجام بينهمـا، حتـى كأنهمـا أُفرغـا مـن قالـب واحـد، وقـد اعتنـى المتـأخرون دون العـرب مـن جـرى مجـراهم مـن المخضرمين بحسن التخلّص[3].

ومـن حـسن الـتخلص الـذي نلحظـه عنـد أحـد الـشعراء فـي كتـاب المـصايد والمطارد قوله[4]:

أيـــا رُبَّ كُرْكـــيٍّ بطـــيءِ الـــنَّهْضِ مـــشتعلِ المَطـــار والمـــنَّقضّ

---

1 كشاجم، المصايد والمطارد، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص156.

[3] الحموي، تقي الدين أبو بكر علي،(د.ت) خزانة الأدب وغاية الأرب، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ص185.

[4] كشاجم، المصايد والمطارد، ص225.

سَـــرْبا كعقـــدِ اللؤلـــؤِ المـــرفضِّ	بمقلــــــةِ هـــــاجرةٍ للغمـــــضِ
يمنُّعهـــا خـــوفُ الـــردى أن تغـــضى	صــــبّتْ عليـــه بعـــذابِ مَحْـــضِ
داهيـــــةٍ لا تـــــشتكي بـــــالحضِّ	مقامهـــا فـــي الـــصيدِ غيـــرُ دَحْـــضِ
أقتـــــلُ شـــــيءٍ نابُهـــــا بـــــالعضِّ	ســـاخطةٌ عليـــه ســـخطاً يرضـــى

نلحظ أن الشاعر بعد أن عدّ مناقب هذا الكُركي، انتقل بسلاسة وخفة إلى الصورة الكيفية التي يصف بها قوة وصلابة عُناق الأرض، تلك الصورة تضع المتلقي على معرفة في الانتقال السلس، فقد استطاع الشاعر من خلال قدرته التعبيرية، أن يصنع الصورة كقطعة واقعية ينظرها المتلقي ويتفاعل معها.

3.4 اللغة والأسلوب

تعد اللغة أهم أدوات العملية الإجتماعية، وأدوات صناعة الإنسان، فاللغة هي الواسطة التي تجعل من الأمة مجتمعاً متخيلاً وتربط الفرد في وقت وحيّز اجتماعي مع أبناء أمته ممّن لم يرهم أو يقابلهم، فاللغة بهذه الصورة مقوّم أساسي في بناء أي حضارة إنسانية، فاللغة حققت للإنسان القدرة على تثبيت مدركاته الحسية والمجردة، ومكّنته من إيصال ما يعرفه وما يجول في خاطره وذهنه إلى الآخرين، وبهذين الأمرين تحرك ركب الحضارة، وبما أن اللفظ هو المادة الأولى في بناء القصيدة الشعرية، فهو بما يثيره من أشكال يمنحها الصورة بما فيها من جرس يلهمها الإيقاع[1].

فاللغة بهذه الصورة تقوم بشكل أساسي في بناء أي حضارة إنسانية وليس الحضارة أن تواصل تقدمها وارتقاءها حقبة إثر أخرى من الألف الرابع قبل الميلاد من غير هذه الأداة الحضارية، فاللغة حققت لدى الإنسان القدرة

---

[1] الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الثانية، 1999م، ص241.

علـى تثبيـت مدركاتـه الحـسية والمجـردة ومكنتـه مـن إيـصال مـا يعرفـه ومـا يجـول فـي خـاطره وذهنـه إلـن الأمـرين أوتحـرك ركـب الحـضارة، واشـتدت الأواصـر بـين البـشر فـي مجتمـع محتـضَر[1]، وتعـد اللغـة أيـضاً عنـصراً رئيـساً يـستخدمه الأديـب والـشاعر لـصنع قـصيدته، ففـي آخرهـا تتجلـى عبقريـة الأداء الـشعري، ومـن لبناتهـا تبنـى الأشـكال الفنيـة التـي تتـآزر علـى إبـداعها مجموعـة نفـسية وجماليـة معقـدة، فاللغة هي الوسيلة بين المبدع والمتلقي في العمل الشعري.

ولقـد توزعـت حـال اللغـة العربيـة فـي شـعر القـرن الرابـع هجـري بـين فلكـي التـأثر وبـذلك فقـد سـيطرت علـى لغـة الـشعر فـي تلـك الفتـرة ثلاثـة اتجاهـات: الاتجـاه التقليـدي الـذي يمثـل عمليـة التـأثير التـي تـرفض لغـة الاسـتجابة لمتطلبـات العــصر، والاتجاهــان الــشعبي والإبــداعي، اللــذان يمــثلان عمليــة تــأثر اللغــة الشعرية بروح العصر حيث الألفاظ الحضارية المستمدة من معجم الحضارة[2].

أمَّـا الإتجـاه التقليـدي مـؤثراً مـن مـؤثرات التـي سـيطرت علـى لغـة الطرديـة فــي القــرن الرابــع الهجــري، فمبعثــه عــاملان: الأول نظــرة لغــويي القــرن الرابــع الهجـري الـذين كـانوا فـي الأغلـب الأكثـر يـشاركون أسـلافهم فـي النظـر إلـى الـشعر، مـن خـلال إيمـانهم بنظـام لغـوي متعنـت[3]، ممـا حـدا بـبعض الـشعراء اللـذين نظمـوا الطرديات على التمسك بهذه النظرة.

أمَّـا العامـل الثـاني، فيعـود إلـى طبيعـة الرجـز كبحـر مـن البحـور الـشعرية الذي يتطلب كثرة من الألفاظ الغريبة في بناء الكلمة، وفي اشتقاقها وتصريفها[4].

---

[1] الدايه، فايز، الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر، دمشق،2003، ص26.

[2] انظر أبو حلتم، نبيل،اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، (د،ط)، دار الثقافة، الدوحة،1985م، ص358.

[3] المومني، قاسم، نقد الشعر في القرن الرابع الهجري،(د،ط)، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص53.

[4] أبو سويلم، أنور، الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول،ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض،1983م، ص 392-393.

ومن الأمثلة على هذا الاتجاه، ما نظمه أحد الشعراء في مقطعة شعرية وصف فيها صيده للنعام، وهو على صهوة حصانه، فقد اختار الشاعر الألفاظ الجزلة مستوحياً ذلك من أمرين: السير على النهج التقليدي، والبيئة والصيغة التي تتطلب هذه الألفاظ فنراه يقول[1]:

وأنتحي لنعامِ الدّوِ سلهبـــــةً	كأنها بعضُ أحجارِ المجانيقِ
تُسدي الرِّياحُ بها ثوباً وتلحمَه	مما يُلَبَّسُ من نسجِ الأخافيقِ
كأنَّما ريشُها والرِّيحُ تعرفُـــــه	أسمالُ راهبةٍ شيبت بتَشْقيــقِ
كأنَّها حين هزَّت رُوْسها فَرقاً	سُود الرِّجال تعادتْ بالمزاريقِ
كَأنَّ اعناقَها وهْناً إذا خفقت	بها البَلاقعُ[2] أدقالُ[3] الزواريـقِ

ونجدُ في الكثير من الطرديات أن الإتجاه التقليدي قد سيطر عليها، بحكم نظرة النقاد المتعصبة للقديم في فترة القرن الرابع للهجرة، وطبيعة الرجز الذي يستلزم ألفاظا قوية وجزلة، مستمدة من لغة المعجم العربي القديم، إلّا أن شعراء الطرد في تلك الفترة حاولوا الخروج عن محراب التقليد، محاولين الإبداع بعد أن ضاقوا ذرعاً بأثقال التقليد التي تجشموا عناءها.

ونرى أن شعراء الطرد قد تغاضوا عن بعض الدعائم القديمة التي قيّدت الكثير من الشعراء، فنلاحظ أن العديد من الشعراء بدأ بنظم طرديته على بحر الرجز، الذي يتصف بخفة الألفاظ ورشاقتها، فيتحدث أبو نواس في طردية وصف فيها أحد الكلاب فيختار لها الألفاظ السهلة على السامع، وهي خفيفة على السمع، فيقول في ذلك[4]:

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص223.

[2] البَلاقعُ: االبَلْقَع والبَلْقَعَةُ، الأرض المقفرة التي لا شئ فيها، يقال، مَنْزِلٌ بَلْقَعٌ ودارٌ بَلْقَعٌ، انظر، الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص235

[3] جمع دِقل: وهي خشبة تشدّ وسط السفينة يمدّ عليها الشراع.

4 كشاجم، المصايد والمطارد، ص 156.

فَهْـــوَ الجَمِيـــلُ والحَـــسيبُ رَهْطـــا   تَـــرَى لـــه شِـــدْقَينَ خُطّـــا خَططـــا
ومَلطَمـــاً سَـــهْلاً ولحيْـــاً سَـــبْطَا   ذالٍ ومَتْنَـــــــــيْن إذَا تَمَططـــــــــا

4.4 الصورة الفنية

لقـد أظهـر شـعراء الطـرد بـراعتهم فـي حـسن تـصويرهم، وجمـال عرضـهم لـشعر الطـرد، فقـد كانـت الـصور التـي ذكروهـا _ فـي أثرهـا _ صـوراً جميلـة اعتمـدوا فيهـا علـى أسـلوب البيـان، حيـث تنـاولوا الـصور القريبـة مـن المـشاهد المحسوسة، وهدفهم في ذلك نقل مشاعرهم والتأثير بها في نفس الملتقى.

وحظيـت الـصورة بأهميـة كبيـرة فـي النقـد العربـي، فهـي الأداة، والوسـيلة، والمـادة التـي يمـارس فيهـا، مـن خـلال فاعليتـه ونـشاطه[1]، فلقـد كانـت دومـاً موضـوعاً مخـصوصاً بالمـدح والثنـاء، وإنَ هـي وحـدها التـي حظيـت بمنزلـة أسـمى مـن أن تتطلـع إلـى مرامتهـا الـشامخة بـاقي الأدوات التعبيريـة الأخـرى، والعجـب أن يكـون هـذا موضـع إجمـاع بـين نقـاد ينتمـون إلـى عـصور وثقافـات ولغـات مختلفـة، ولهذا أمكن القول إن الصورة الشعرية كيان يتعالى على التاريخ[2].

والـصورة عنـصر عمـدة، لا يخلـو منـه العمـل الأدبـي، وطـابع أصـيل فـي أي إبداع شعري، وهي وعاء الأديب الذي ينقل به مشاعره وأحاسيسه[3].

---

[1] عصفور، جابر، الصورة في التراث النقدي والبلاغي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992م، ص14.

[2] محمد، الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، 1990م، ص7.

[3] الغنيم، إبراهيم عبدالرحمن، الصورة الفنية في الشعر العربي، الشركة العربية للنشر، ط1،1996، ص18.

والصورة الشعرية مستمدة من مدركات الشاعر ومحيطه، يقول ابن طباطبا العلوي في ذلك: "وأعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها وأدركته عيانها ومرت به تجاربها"[1].

ومن هنا نجد أن شعراء الطرد قد لجأوا إلى الكثير من الصور والتشبيهات في طردياتهم؛ لأن التشبيه أنسب إلى صورهم الطردية من أي مبحث آخر من مباحث الصورة التي تجعل الصور متكلفة وغير واضحة، في حين أن التشبيه وبخاصة القريب، يجعل الصور الطردية أكثر فهماً ووضوحاً ولا سيما أن مادة الصورة منتزعه من بيئتهم التي يعيشون فيها.

ومن خلال دراسة الطرديات في كتاب المصايد والمطارد، نجد أن الشعراء أثناء تناولهم الصيد بصورتين، الصورة الساكنة التي تمثل حال الوسيلة مثل عملية الصيد، والصورة المتحركة التي تظهر حال الوسيلة أثناء تنفيذها لعملية الصيد، فإن الصورة الساكنة وهي تتمثل في وقوف الشاعر متأملاً وواصفاً لمحاسن هذا الصائد سواء كان بازي أو كلبا.

ونجد أبا نواس في إحدى طردي يبدأ بالتركيز على تشكيل صورة بريئة للكلب في مطلع أرجوزته دون الإشارة إلى الطريدة، ويبدو الشاعر محركاً للكلب ويزجيه في زينته، فقد أعدوّا للصيد والطراد كلباً شديداً، ويتكون المشهد المعبر عنه بالصورة من تتابع الحركات الحادثة، فصورة الكلب تشبه في لونها لون الأثافي السعف، وتذكر بالأطلال و أثافيها في إشعاعات الصورة التراثية فيقول الشاعر[2]:

براثنا سُحْمَ الأثاثِ مَلْطا تُنْشِطُ أُذنيه به نَشْطا

[1] ابن طباطبا، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري، المكتبة التجارية الكبرى، 1956م، ص18.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص156.

وتـزداد قـدرة الـصورة علـى الإدهـاش حـين تتمـازج مـع الحركـة بـاللون، فحركـة الأرجـل وانـدفاعها إلـى الأمـام يرافقهـا انـدفاع أذن الكلـب إلـى الأسـفل والخلـف فتعلـق برأسـه في أطـراف أذنيـه، فتقـع فـي مـصيدة يـؤدي إلـى ثقبهـا ونـزول دمهـا، لكـن رجليـه وأذنيـه فـي حركتهـا الإهتزازيـة، وانـدفاعها إلـى الأمـام، تتحـول إلـى حركـة سـابحة فـلا تكـاد تـرى الأرجـل والأذنـين تـصل الأرض نـادراً، وترتفـع الـصورة إلـى قمـة أوجهـا، حـين تمتـزجُ بالحركـة علـى إدراك المعنـى وتكوينـه، حـين تـصبح الـصورة الـسابحة تـشبه حركـة الإنـسان الـذي يـودّ التقـاط شـيء فـي الأرض، فـلا يكاد ينفلت منه حتى يعاود الكرة ثانية، يقول كشاجم يصف هذا[1]:

تخالُ ما دُمينَ منها سَـرْطـا ... ما إن يَقَعْنَ الأرضَ إلا فرطا

كأنَّمـا يُعْجِلْنَ شيئـاً لَقْطـا ... أسرعُ من قولي قطاة قططـا

يغتالُ حرَّان الصَّحاري المرفطا ... يَلْقَيْنَ منه حَكَماً مشطَّطـا

للعظمِ حُطْماً والأديمِ غَططَا

وبعـد هـذا ينتقـل أبـو نـواس فـي إحـدى أراجيـزه بعـرض صـورة ومـضة الثعلـب وهـو يخـرج مـن جحـره؛ سـاعياً فـي الأرض يبغـى الكـسب علـى صـغاره، فهـو كالرجـل الـذي يـسعى لتـأمين قـوت أولاده، ويلـوِن صـورته الملتقطـة بأصـباغ الفـرح والجـدل ويـلا تلـك الـصورة حركـة ونـشاطاً ملتقطـاً، صـورة لحظيـة لثعلـب الطريـدة تمتلـئ بالحيويـة والفـرح والحركـة الدائريـة، ثـم يطـوي هـذه الـصورة ويجعلهـا فـي البنـى التحتيـة للقـصيدة، ويعـرض صـورة الكلـب الطـارد محـور القـصيدة وأساسـها، فيقول واصفاً ذلك[2]:

لمَّا عدا الثعلبُ من وِجـاره ... يَلْتَمِسُ الكَسْبَ على صغـارِهِ

عارضتُه مُنْذ سرا مِثـاره ... بِصَرِمٍ يمرحُ في شُـوارِهِ

في الحَلَقِ وفي أسعـارِهِ ... مُصْطَمر القصرى من اصطمارِهِ

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص156.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص151، نقلاً من ديوان ابي نواس ص 178.

صدحتْ السِّيم من أقطـــاره من بعد ما صارَ إلى أحبـــارِهِ
غضاً كَستْهُ الحُوْرُ من عِشارِهِ أيامَ لا يُحْجَبُ عن إطـــــارِهِ
وهو طليٌ لم يدْنُ من سُعــارِهِ في منزلِ يُحْجَـــــبُ عن زُوَّارِهِ

ويـزيح الـشاعر صـورة الثعلـب الطريـدة، ويتـابع رسـم صـورة الطـارد المـشتعل جوعـاً وهـو يلعـب بقلائـد الجلـد التـي قيـد بهـا، تهتـز بعـض أضـلاعه القـصرى، ثـم يشير إلى صورة الطارد بقوله[1]:

قـد نَحَـتَ التلـويحُ مـن أقطـارِهِ ليجعـل ضـمور الـبطن مـن أدوات التـشكيل الجمالي لدى الكلب، فنراه يقول:

من بعد ما كان من كان إلى أصباره غضّاً كَسَنَة الحور من عشارها

وبعـد هـذا تنتهـي وتكتمـل الـصورة فـي هـذه الأرجـوزة حيـث تـشكل بـأبهى صـورة، وعلـى خيـر وجـه فـي قولـه (وآظٍ مثـل القلـب مـن نـضارِهِ) فقـد أضـحى جميل الهيئة شبيهاً بالسوار في لمعانها ونضارتها.

ثـم تبـدأ الـصور تتلاحـق، لتـشكيل صـورة بـصرية لعينـي الكلـب تـستدعي صـورة النـار المـستعرة، التـي يـستعين بهـا البـدوي فـي صـحرائه، والتـي تـسكن فـي قلـب المحـب عنـد صـياغة أشـعاره أو تـشبيه مـايحس بـه مـن وجـد وشـوق لجمـر الغضى، وفي قوله[2]:

كانَّ خَلْفَ مُلتقى أشفارِهِ جمْرُ غضى يَضْرِمُ في استعاره

وفـي قـصيدة أخـرى تـرى الـشاعر يـستعدي المـوروث الـديني، ليظهـر هـذه الـصورة بـأبهى صـورة لهـا، فهـو يقـف علـى صـهوة حـصانه، متـأملاً تلـك النعامـة التـي يطاردهـا منـذ الـصباح، فمـن سـرعة هـذه النعامـة المطـرودة، بـدا ريـشها كأنـه

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص151، نقلاً من ديوان ابي نواس ص152.
[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص155.

ثيــاب راهبــة مــشقق، فهنــا اكتملــت الــصورة الحركيــة اللونيــة علــى أتــم وجههــا فيقول[1]:

تَــسدي الريّــاحُ بهــا ثوبــاً وتلحمُــهُ	ممــا يلــبَّسُ مــن نــسجِ الأخــافيقِ
كأنَّمـــا ريـــشُها والـــرّيحُ تفرقُـــهُ	أســـمالُ راهبـــةٍ شـــيبتْ بتشقـــشقِ

وبقــصيدة أخــرى لأحــد الــشعراء فــي كتابــه المــصائد والمطــارد، تغطــي صــورة الطــارد المــساحة الموجــودة فــي فــضاء القــصيدة، علــى الــرغم مــن أن الاهتمـام للطـارد هـو الغالـب فـي هـذه الطرديـة، لكـن مـا يميـز هـذه الطرديـة، هـو انحـسار المـساحة المخصـصة للطريـدة بـشكل أكبـر فيـشبه الـشاعر يظـن هـذا الكلــب كأنــه غــصون الخيــزران المهذبــة المتظــائي عنــد مطاردتــه لهــذا الثعلــب فيصف ذلك بقوله[2]:

تديرُ عيوناً رُكّبَتْ في براطيلِ	كَجَمْرِ الغضا خُزْراً أذراب الأنابِبِ
كأنَّ غصونَ الخَيزُران متونُها	شواجبُ جَلَتْ عن طِرادِ الثَّعالِـبِ
كواشرُ عن أنيابهنّ كوالـــح	موللةُ الآذان شُوْسُ الحواجــــبِ

5.4 الموسيقى الشعرية

يظــل الإيقــاع الموســيقي مقومــاً أساســياً مــن مقومــات الــشعر وإبهــاره، فهــو يمــنح الــشعر قدرتــه علــى التــأثير والفاعليــة، وينطــوي علــى قيمــة فنيــة وتعبيريــة وخاصـــة لـــذلك حبـــل أرســـطو الموســـيقي أو الإحـــساس بـــالنغم، إحـــدى علتـــين رئيسيتين يرجع إليهما الدافع الأساسي للشعر[3].

---

[1] كشاجم، المصايد والمطارد، ص223.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص145.

[3] أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأدب المصرية، ط1، 1972، ص14.

فالشعر له طابعه الخاص، وهو مقيد بوزن لا ينفك عنه إلا حين خروجه من دائرة الشعر إلى دائرة النثر، وقافية تختلف نظر الشعراء والنقاد تجاه إلتزامها كشكل خارجي للقصيدة أو عدم إلتزامها بحرفيتها[1].

الوزن والقافية من العناصر الأساسية التي اعتمد عليها النقاد القدامى في تعريفهم حد الشعر، فقلما تجد ناقداً لا يقول: الشعر كلام موزون مقفى، ولعل تركيز النقاد القدامى على الوزن والقافية، نابع من قناعتهم أن في الشعر خاصية موسيقية تجعله أكثر عذوبة وطلاوة، ولا تبدو هذه الحقيقة أمراً مستغرباً، فالعلاقة بين الشعر والموسيقى علاقة حميمة، فهما فن من الفنون الأدبية، ولكل منهما صلة بالآخر، وكل منهما فن سمعي، ومادة الموسيقى الأصوات، ومادة الشعر الألفاظ، وهي تنحل إلى أصوات[2].

أمَّا العصر العباسي فقد شهد حركة بارعة في التجديد، خاصة عند ازدهار الغناء والطرب والشراب، وجميع هذه الأسباب جعلت الشعراء العباسيين يطوّعون قصائدهم لمتطلبات التطويع الغنائي، فشاعت الأوزان القصيرة، وهي الكامل، ومجزوء الرمل، ومجوزء الرجز، ومجزوء المنسرح، والبسيط، والمخلع، والمحتسب، والخبب، ومجزوء المغتضب، والمتقارب[3].

وهكذا فإننا نجد شعراء الطرد في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري قد التزموا بمعيار الوزن والقافية، حتى يحققوا لطردياتهم وحدات موسيقية متناسقة، من شأنها خلق إيقاع متوازن من النغمات التي تشتاق الأذان لسماعها، ولهذا نجد بأن شعراء الطرد قد نظموا على العديد من البحور كبحر

---

1 اسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط1، 1962، ص126.

2 ضيف، شوقي، في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر، ط6، ص95.

3 هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثالث الهجري، ص132.

الرجـز، والطويـل، والـسريع، والمنـسرح، والخفيـف، والمتقـارب، والكامـل، والـوافر، والبسيط، والرمل، والهزج.

وبعـد الدراسـة، تجـد بحـر الرجـز هـو البحـر المحبـب لـشعراء الطـرد، فقـد نظمـت الكثيـر مـن الطرديـات علـى مجـزوء الرجـز ومـشطوره، ولكـن هـذا لـم يمـنعهم مـن الإتكـاء علـى بحـور أخـرى، فقـد نظمـوا علـى الطويـل والـسريع وغيـره مـن البحور.

أمَّـا القافيـة، فهـي لاتقـل أهميـة عـن الـوزن، وهـي المقـاطع الـصوتية التـي تكـون فـي أواخـر المقـاطع الـصوتية، أي المقـاطع التـي يلـزم تكرارهـا فـي كـل بيـت، فقـد اختلـف العروضـيون فـي مقـدارها، فمـنهم مـن قـال: هـي الحـرف التـي تبـدأ بمتحـرك قبـل سـاكنين فـي أخـر البيـت الـشعري، ومـنهم مـن ذهـب لأنهـا أخـر سـاكنين فـي البيـت، والمتحـرك الـذي بينهمـا والمتحـرك الـذي قبـل أولهمـا، ويتـصل بالقافيـة حـرف الـروي، وهـو آخـر حـرف صـحيح فـي البيـت، وعليـه تبنـى القـصيدة وإليه تنسب[1].

إنَّ القافيـة نوعـان: أحـدها مطلـق والآخـر مقيـد، وكانـت القافيـة المطلقـة تغلـب علـى القافيـة المقيـدة عنـد شـعراء الطـرد فـي هـذا العـصر، فقـد سـادت الطرديـات التـي أوردهـا كـشاجم فـي كتابـه، علـى قـوافي المتمكنـة، تمتـاز بغرابـة اللفـظ وسـهولة المخـرج وشـهرة الـروي ويطلـق عليهـا القـوافي الـذلل وهـي: (اليـاء والتـاء والـدال والمـيم والـراء والعـين واليـاء المتبوعـة بـألف الإطـلاق والنـون فـي غيـر التجديد[2].

---

[1] الطيب، عبدالله، المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتهم، (د.ت)، الدار التونسية، الخرطوم، ج1، ص46.

[2] كشاجم، المصايد والمطارد، ص158.

ونلاحظ أن العديد من شعراء الطرد التزموا بالإيقاع الداخلي للقصيدة، وذلك عبر استخدامه لقوافي داخلية.

وإذا كانت هذه المقطوعة مثلت القوافي أو تناغم أصوات الحروف، إلّا إن أبا نواس ولع أيضاً بالجناس، وخاصة الجناس الناقص الذي عرف بجناس الاشتقاق مثل قوله:

خطا / خطا _ قطاء / قطا /الرقطا.

ومن ذلك نرى أن الشعر حافظ على أوزان الخليل حتى مع تعرفه في حركات تواتر البحور، وإنما جاء للنص النواسي من حيوية وتجديد وابتكار، هذه الثقافة العالمية بمفاتن الإيقاع الداخلي للقصيدة، وتكثيف هذا الإيقاع بضروب مختلفة، وقد استفادت من ذلك معظم النصوص النَّواسيّة في كافة الأغراض الشعرية.

أما بالنسبة لاستخدام بحر الرجز، فقد نظم عليه الكثير من الشعراء طردياتهم، وامتاز هذا البحر عن غيره من البحور الأخرى، بغرابة ألفاظه خاصة أن بعضها جاءت من البادية، فكانت غريبة على أهل الحضر فكثير من الكلمات واشتقاقها جاء لضرورة الوزن والقافية دون الاعتماد على أي قاعدة لغوية.

ومن الملاحظ أن العديد من الطرديات اتَّسمت بالقصر وهذا ما تميز به بحر الرجز أنه قصير العبارات يتناسب مع الوزن القصير، فنلاحظ بأن التضمين والجمل الإعتراضية، وتقطيع العبارات، ظاهرة بارزه في الأراجيز، لذلك كان للأراجيز جمال خاص جاء لكونه فناً غنائياً، امتازت قوافيه بالغرابة، وبوحدة الموسيقى، ومن هنا نستنتج بأن شعراء الطرد أكثروا من النظم على هذا البيت لجعل قصائدهم على كل لسان وفي كل مجلس.

الخاتمة

العصر العباسي من أكثر العصور حباً للصيد والقنص، حيث بلغ شغفهم بالصيد أوجه في ذلك الفترة، ومن خلال دراسة كتاب المصايد والمطارد لكُشاجم اتضح لي بأن هذا العصر من أرقى العصور وأكثرها ازدهاراً، وأن مهنة الصيد قد شغلت أوقات الخلفاء وأيامهم، فأمضوا معظم أيامهم في الصيد والطرد؛ للترفيه عن أنفسهم، والشاعر يرافقهم أثناء صيدهم وطرادهم؛ ليصف المشهد والصراع الذي يدور بين الطارد والطريدة، ومن جهة أخرى لإشباع عياله مما كانوا يصطادون.

وتبين لي مدى الذكاء والحيلة عند العرب من أبناء هذا العصر عند صيدهم وطرادهم للحيوانات والطيور، فقد نصَبوا الشِّباك والفخاخ وحفروا الزّبى وتوشحوا اللبابيد، من أجل الصيد والطرد.

وتوصلت إلى الفائدة العظيمة في التداوي والطبابة من الأمراض الكثيرة، من خلال تعاطي لحم وأعضاء بعض الحيوانات والطيور، حتى وصلت إلى وقتنا هذا، وإنهم اتخذوا من الحيوان مادة الحياة الأولى.

واتضح لي من خلال الدراسة الفنية، بأن شعر الطرد من أكثر الأشعار التي تحمل الصور والأخيلة عند وصف الطارد والطريدة، وصورة الصراع الدائر بينهم، لذلك أوصي لمن بعدي بتناول الصورة الفنية في شعر الطرد، لما تحويه من الصور الجمالية والخيال الشعري.

المراجع

إبراهيم، أنيس (1972) **موسيقى الشعر**، مكتبة الأدب المصرية، ط1.

إبراهيم، أنيس؛ وآخرون،(د.ت) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج1.

ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (د.ت) **الجامع لمفردات الأغذية والأدوية**، دار صادر لطباعة والنشر، مجلد2.

ابن القلقشندي، أبو العباس (1987) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

ابن حجر، أوس(1979) **الديوان**، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر، الطبعة الثالثة.

ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل(د.ت) **المخصص في اللغة**، المكتب التجاري، بيروت.

ابن طباطبا، محمد بن احمد(1956) **عيار الشعر**، تحقيق طه الحاجري، المكتبة التجارية الكبرى.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (1980) **لسان العرب**، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

ابن منقذ، أسامة، (د.ت)، **كتاب الإعتبار**، حرَّره: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أبو حلتم، نبيل (1985) **إتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري**، (د،ط)، دار الثقافة، الدوحة.

أبو سويلم، أنور(1983) **الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول**، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

ابو نواس، الحسن بن هانئ (1992) **الديوان**، تحقيق: بدر الدين الحاضري محمد حمامي، دار الشروق العربي، بيروت، لبنان.

اسماعيل، عز الدين(1962) **التفسير النفسي للأدب**، دار العودة، بيروت،1ط.

الباشا، عبد الرحمن رأفت (1983) **الصيد عند العرب، أدواته وطرقه حيوانه الصائد والمصيد**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

بروكلمان، كارل (1977) **تاريخ الأدب العربي**، ج2، ترجمة محمد عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر.

البستاني، بطرس (1977) **قاموس محيط المحيط**، مكتبة، لبنان، مطابع مؤسسة جواد للطباعة، بيروت.

البلدي، عبد الرحمن بن محمد (1983) **الكافي في البيزرة**، حققه وعلق عليه: إحسان عباس وعبد الحفيظ منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

التميمي، جرير(1969-1971) **ديوانه**، تحقيق: د.محمد نعمان أمين طه، دار المعارف، مصر.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1995) **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة اليابي الحلبي، القاهرة، ط2، ج4.

الجبوري، يحيى(1997) **الشعر الجاهلي: خصائصه، فنونه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الجوهري، إسماعيل بن حماد(د.ت) **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان.

الحموي، تقي الدين أبو بكر علي (د.ت) **خزانة الأدب وغاية الأرب**، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة.

خريس، حسين (1994) **حركة الشعر العباسي في مجال التقليد بين أبي نواس ومعاصرية**، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان.

الخفاجي، أمجد حسين (1987) **الصيد بالطيور الجارحة**،(د.م).

الداية، فايز (2003) **الصورة الفنية في الأدب العربي**، دار الفكر، دمشق.

الدميري، كمال الدين (1372هـ) **حياة الحيوان الكبرى،** مطبعة الإستقامة،مصر، ، ج 2.
ذو الرَّمة، **ديوانه** (1995) تحقيق: احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1.
الرازي، محمد بن أبي بكر(2007) **مختار الصحاح**، تدقيق: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، الأردن.
ربابعة، حسن (2004) **السيمائية والتجريب عند الجاحظ**، مؤسسة رام للتكنولوجيا والكمبيوتر، مؤتة، الكرك.
الربّاعي، عبد القادر(1999) **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الثانية.
الزبيدي، تقي الدين ابو العباس(1985) **إنتهاز الفرص في الصيد والقنص**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، اليمن.
الزركلي، خير الدين (د.ت) **الأعلام**، دار العلم للملايين، ج2.
زيدان، جرجي(1985) **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج5، مطبعة دار الهلال، القاهرة، مصر.
سابق، السيد (1999) **فقة السنة**، المجلد الأول، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
السيد عبدالعزيز سالم (1976_1978) **صور من المجتمع الأندلسي**، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد.
السيوطي، جلال الدين أبو بكر(1987) **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.
الشراري، عبدالعزيز محمد (2011) **صيديّات الشاعر ابي نواس وطردياته وبيزرته**، جامعة مؤته.
الصالحي، عباس مصطفى(1981) **الصيد والطرد في الشعر العربي القديم حتى نهاية القرن الثاني للهجرة**، المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

ضيف، شوقي (د،ت) **العصر العباسي الثاني، ط6**، دار المعارف، مصر.

الطَّبري، محمد بن جرير (د.ت) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**، تحقيق: محمود شاكر و احمد شاكر، ج5.

الطَّيب، عبدالله (د.ت) **المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتهم**، الدار التونسية، الخرطوم، ج1.

العبيدي، صلاح حسين (2002) **الصيد والقنص في الآثار العربية الإسلامية**، مجلة كلية الآداب، مجلد 12،عدد4، جامعة بغداد.

عصفور، جابر(1992) **الصورة في التراث النقدي والبلاغي**، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط3.

عطوان، حسين(1982) **مقدمة القصيدة في العصر العباسي الثاني**، دار الجيل، بيروت، لبنان.

العيد، ابن دقيق(1995) **إحكام الإحكام في شرح عمدة الأحكام**، دار الجيل،ج1.

الغطفاني، الشماخ بن ضرار **(د.ت) ديوانه**، حققه وشرحه:صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.

الغنيم، ابراهيم عبدالرحمن (1996) **الصورة الفنية في الشعر العربي**، الشركة العربية للنشر، ط1.

فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (1999) **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ج3.

الفاطمي بازيار العزيز بالله (د.ت) **كتاب البيزرة**، علق عليه: محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.

كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسن(1980) **المصايد والمطارد**، تحقيق: محمد أسعد طلس، عالم الكتب، بيروت،لبنان.

الكوفي، علي بن محمد(1998) **ديوانه**، ترجمة وتحقيق: محمد حسين الأعرجي، دار صادر للطباعة والنشر، ط1.

معلوف، أمين (1985) **معجم الحيوان**، دار الرائد العربي، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان.

المنكلي، محمد(1993) **أُنس الملا بوحش الفلا**، تحقيق محمد عيسى صالحية، ط1، دار البشير، عمان.

المومني، قاسم (1999) **نقد الشعر في القرن الرابع الهجري**، (د،ط)، دار الثقافة للطباعة والنشر.

النويري، شهاب الدين (1351هـ) **نهاية الأرب**، دار الكتب، مصر،ج9.

هدّارة، محمد مصطفى(1963) **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف، القاهرة.

الولي، محمد (1990) **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، ط1.

يموت، سوسن (1985) **مشاهد الصيد في الشعر الجاهلي**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، لبنان.